شرح مسائل الجاهلية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فقد كنت ألقيت دروسا في المسجد ، تتضمن شرح مسائل الجاهلية التي ذكرها شيخ الإسلام الـدد : الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في رسالة مختصرة ، وكان بعض الطلاب - وفقهم الله - قد سجلوا تلك الدروس في أشرطة ، وقام بعضهم - جزاه الله خيرا - بتفريغها وكتابتها وعرضها علي ، فلما قرأتا استحسنت طبعها ونشرها ؛ لتعم الفائدة با ، على ما في ذلك الشرح من نقص وضعف ، ولكن كما يقولون : شيء خير من لا شيء . وأرجو ممن قرأ هذا الشرح وأدرك فيه خطأ أن ينبهني عليه لاستدراكه ، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

المؤلف

مقدمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - تعالى - في مقدمة رسالته : مسائل الجاهلية :

هذه مسائل خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية الكتابيين والأميين ، مما لا غنى للمسلم عن معرفتها .

فالضـــد يظهـــر حســـنه الضـــد وبضـــدها تتبـــين الأشـــياء

فأهم ما فيها وأشدها خطرا : عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ فإن انضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية تمت الخسارة ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [(١)] .

الشـرح

هذه رسالة من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - اسمها : " مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية " تشتمل على مائة وثمان وعشرين مسألة ، استخلصها - رحمه الله - من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم ، والغرض من ذلك : تنبيه المسلمين ، من أجل أن يتجنبوا هذه المسائل ؛ لأنا خطيرة جدا .

وبين - رحمه الله - أن هذه المسائل مما خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية من الكتابيين والأميين .

والكتابيون المراد بم : أهل الكتاب من اليهود والنصارى لأن اليهود عندهم كتاب التوراة التي أنزلها الله على موسى - عليه السلام - والنصارى عندهم كتاب الإنجيل الذي

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٥٢ .

....

أنزله الله على عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - فلذلك سموا بأهل الكتاب ، وهم الآن يطلقون على التوراة : العهد القديم ، أو : الأسفار القديمة ، ويطلقون على الإنجيل : أسفار العهد الجديد ، هذا في اصطلاحهم .

وهما كتابان عظيمان أنزلهما الله على نبيين كريمين ، هما : موسى وعيسى عليهما السلام ، لا سيما التوراة ، فإنها كتاب عظيم . والإنجيل مكمل لها ومصدق لها .

ولذلك سموا بأهل الكتاب ؛ فرقا بينهم وبين غيرهم ممن ليس لهم كتاب .

وأما الأميون : فالمراد بهم : العرب الذين لا يدينون بالديانتين ، سموا بالأميين ، جمع أمي ، نسبة إلى الأم (والأمي هو : الذي لا يقرأ ولا يكتب) فإنهم قوم لا يقرأون ولا يكتبون في الغالب ، وليس عندهم كتاب قبل نزول القرآن ؛ فلذلك سموا بالأميين ، كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ [(١)] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [(٢)] ، وقال تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [(٣)] ، فهذا معنى الأميين . ووصف نبيه ﷺ بأنه أمي ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [(٤)] .

فكونه أميا لا يقرأ ولا يكتب وجاء بهذا الكتاب العظيم دليل على صدق رسالته وفي ذلك معجزة له .

فالعرب أميون ، ونبيهم ﷺ أمي .

---

(١) سورة الجمعة آية : ٢ .
(٢) سورة سبأ آية : ٤٤ .
(٣) سورة يس آية : ٦ .
(٤) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .

أما الجاهلية ، فالمراد بها النسبة إلى الجهل ، والجهل عدم العلم ، والجاهلية هي التي ليس فيها رسول وليس فيها كتاب . والمراد بها : ما كان قبل بعثة النبي ﷺ قال تعالى : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (١) يعني : التي قبل بعثة النبي - ﷺ - ؛ لأنه قبل بعث النبي ﷺ كان العالم كله يموج في ضلال وكفر وإلحاد ؛ لأن الرسالات السابقة اندرست ، فاليهود حرفوا كتابهم التوراة ، وأدخلوا فيه كثيرا من الكفريات والضلال ، والشنائع التي أدخلوها في التوراة ، وكذلك النصارى حرفوا كتابهم الإنجيل عما كان عليه وقت نزوله على المسيح - عليه الصلاة والسلام - وذلك أن رجلا يقال له : بلس ، أو شاول ، كان يهوديا حاقدا على رسول الله عيسى - عليه السلام - فهذا الرجل لجأ إلى المكر والخديعة ، في إفساد دين المسيح - عليه السلام - حيث أظهر الإيمان بالمسيح ، وأنه ندم على ما كان من قبل من عداوة المسيح ، وأنه رأى رؤيا - بزعمه - فآمن بالمسيح ، وصدقه النصارى فيما قال ، ثم إنه تناول الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى ، فأدخل فيه الوثنيات والشركيات والكفريات ، حيث أدخل فيه عقيدة التثليث ، أي أن الله ثالث ثلاثة ، وأن عيسى ابن الله ، أو هو الله . وأدخل فيه الأمر بعبادة الصليب ، وأدخل كفريات شنيعة ، وصدقوه في ذلك على أنه عالم ، وعلى أنه مؤمن ولقبوه بالرسول بلس أي رسول المسيح بزعمهم وقصده إفساد دين المسيح ، وحصل له ما أراد ، فقد أفسد دين المسيح وأدخل فيه الوثنيات والتثليث ، واعتقاد أن عيسى ابن الله ، أو أنه ثالث ثلاثة ، وأدخل فيه وثنيات كثيرة فاتبعوه على ذلك .

هذه حالة أهل الكتاب قبل بعثة النبي ﷺ إلا بقايا منهم كانوا على الدين الصحيح (٢) لكن الأكثرية منهم على الكفر والانحراف عن دين الله .

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

(٢) قال الشيخ تقي الدين : إنهم انقرضوا قبل البعثة المحمدية .

وأما العرب فكانوا على قسمين : قسم اتبع الديانات السابقة ، كاليهودية والنصرانية والمجوسية . وقسم كانوا على الحنيفية ، دين إبراهيم وإسماعيل ، لا سيما في الحجاز في أرض مكة المكرمة .

إلى أن ظهر فيهم رجل يقال له : عمرو بن لحي الخزاعي ، كان ملكا على الحجاز ، وكان يظهر التنسك والعبادة والصلاح ، وذهب إلى الشام للعلاج ، فوجد أهل الشام يعبدون الأصنام ، فاستحسن ذلك ، وجاء من الشام بأصنام معه ، ونقب عن الأصنام التي كانت مدفونة تحت الأرض بعد قوم نوح ، ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، وغيرها ، كان الطوفان قد طمسها ودفنها ، وجاء الشيطان فأرشده إلى أمكنتها ، فنبشها وأخرجها ، ووزعها على قبائل العرب وأمر بعبادتها ؛ وقبلوا منه ذلك ، ودخل الشرك في أرض الحجاز وفي غيرها من بلاد العرب ، وغير دين إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وسيب السوايب للأصنام من بهيمة الأنعام ؛ ولذلك رآه النبي ﷺ يجر قصبه في النار ، يعني : يجر أمعاءه في النار [(١)] .

فكانت حالة العالم قبل بعثة النبي ﷺ في ضلال مبين ، الكتابيون والأميون وغيرهم ، سائر أهل الأرض ، إلا بقايا من أهل الكتاب كانوا على الدين الحق ، لكنهم انقرضوا قبل البعثة ، فأصبح الظلام حالكا في الأرض ، وجاء في الحديث : أن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، يعني : أبغضهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب .

في هذا الظلام الحالك ، وهذه الجاهلية المستحكمة ، وانطماس السبل ، ودروس آثار الرسالات السماوية ، بعث الله نبيه محمدا ﷺ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ

(١) فقد ثبت عن رسول الله ذلك ، فقال " رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار ، وكان أول من سيب السوائب " أخرجه البخاري (رقم ٣٥٢١) ومسلم (رقم ٢٨٥٦) .

....

﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [(١)] وإن كانوا من قبل : أي قبل بعثته ﷺ .

والجاهلية - كما قلنا - منسوبة إلى الجهل وهو عدم العلم ، وكل أمر منسوب إلى الجاهلية فإنه مذموم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [(٢)] ، نهى نساء النبي ﷺ عن التبرج ، وهو إظهار الزينة في الأسواق ، وأمام الناس ؛ لأن أهل الجاهلية كانت نساؤهم تتبرج ، بل تكشف عن عوراتها ، كما في الطواف عندهم ، يرون أن هذا من المفاخر .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [(٣)] وهذا من باب الذم ، فحمية الجاهلية مذمومة ، ولما سمع النبي ﷺ رجلا من الأنصار حصل بينه وبين رجل من المهاجرين في بعض الغزوات ، اقتتال ونزاع ، فقال الأنصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، كل واحد منهم دعا قومه ، قال النبي ﷺ ﴿ أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟! دعوها فإنها منتنة ﴾ [(٤)] [(٥)] يعني الاعتزاء بالقبيلة ؛ لأن المؤمنين كلهم إخوة ، لا فرق بين أنصاري ومهاجري ، ولا بين قبيلة كذا وكذا ، هم إخوة في الإيمان ، كالجسد الواحد ، والبنيان يشد بعضه بعضا ، هذا الواجب على المسلمين ، أنهم لا يميزون بين عربي وعجمي ، وأسود وأبيض ، إلا بالتقوى ، كما

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٤ .
(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .
(٣) سورة الفتح آية : ٢٦ .
(٤) البخاري تفسير القرآن (٤٦٢٢) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٤) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٣١٥) ، أحمد (٣/٣٩٣) .
(٥) أخرجه البخاري (رقم ٣٥١٨ ، ٤٩٠٥ ، ٤٩٠٧) ومسلم (رقم ٢٥٨٤) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [(١)] ، ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ ﴾ [(٢)] فالاعتزاء بالأنساب والاعتزاء بالقبائل من أمور الجاهلية .

وقال ﷺ : ﴿ من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ﴾ [(٣)] [(٤)] ؛ لأن أهل الجاهلية هم أهل الفوضى ، الذين لا يخضعون لسلطان ولا لأمير . هذه حالة الجاهلية .

فالحاصل : أن أمور الجاهلية كلها مذمومة ، ونهينا عن التشبه بأهل الجاهلية في كل الأمور ، والجاهلية انتهت ببعثة النبي ﷺ فبعد بعثته زالت الجاهلية العامة ، وجاء العلم والإيمان ، ونزل القرآن والسنة ، وانتشر العلم وزال الجهل ، وما دام القرآن موجودا ، والسنة النبوية موجودة ، وكلام أهل العلم موجودا ، فإنه لا جاهلية حينئذ ، أعني الجاهلية العامة ، أما أنه يبقى بعض الجاهلية في بعض الناس ، أو في بعض القبائل ، أو في بعض البلدان ، فالجاهلية الجزئية تكون موجودة .

ولهذا لما سمع النبي ﷺ رجلا يعير أخاه بقوله : يا ابن السوداء ، قال له : ﴿ أعيرته بأمه ؟ ! إنك امرؤ فيك جاهلية ﴾ [(٥)] [(٦)] وقال ﷺ : ﴿ أربع في أمتي من أمور الجاهلية لا يتركونن : الطعن في الأنساب ، والفخر بالأحساب ، والنياحة على الميت ، والاستسقاء بالنجوم ﴾ [(٧)] [(٨)] فدل على أنه تبقى أشياء من أمور الجاهلية في بعض الناس ، وهي مذمومة ، لكنه لا يكفر بها لكن الجاهلية العامة زالت ولله الحمد .

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٣ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٠ .

(٣) مسلم الإمارة (١٨٥١) .

(٤) أخرجه مسلم (رقم ١٨٥٠) .

(٥) البخاري الإيمان (٣٠) ، مسلم الأيمان (١٦٦١) ، أبو داود الأدب (٥١٥٧) ، أحمد (١٦١/٥) .

(٦) أخرجه البخاري (رقم ٣٠ ، ٢٥٤٥ ، ٦٠٥٠) ومسلم (رقم ١٦٦١) .

(٧) مسلم الجنائز (٩٣٤) ، أحمد (٣٤٤/٥) .

(٨) أخرجه البخاري مختصرا (رقم ٣٨٥٠) ومسلم واللفظ له (رقم ٩٣٤) .

....

ولهذا لا يجوز أن يقال : الناس في جاهلية ، أو : العالم في جاهلية ؛ لأن هذا جحود لوجود الرسالة ، وجحود للقرآن والسنة . هذا الإطلاق لا يجوز ، أما أن يقال : في بعض الناس جاهلية ، أو : في بعض الأشخاص جاهلية ، أو : هناك خصال من خصال الجاهلية ، فهذا موجود ، ففيه فرق بين ما كان قبل البعثة وما بعد البعثة .

قد يقول بعض الناس : ما الداعي إلى ذكر مسائل الجاهلية ، ما دامت الجاهلية قد انتهت ؟ نحن مسلمون ولله الحمد .

نقول : الداعي لذلك : الحذر منها ، فإنه إذا عرفها طالب العلم فإنه يحذر منها ، أما إذا جهلها ولم يعرفها ، فإنه قد يقع فيها ، فذكرها ومدارستها من أجل أن تعرف حتى تجتنب ، وحتى يحذر منها ، قال الشاعر :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر يقع فيه

هذا من ناحية ، والناحية الثانية ، أنك إذا عرفت الجاهلية عرفت فضل الإسلام ، كما قال الشاعر :

الضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتبين الأشياء

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه " يوشك أن تنقض عرى الإسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية " ، فإذا كان الإنسان يجهل أمور الجاهلية فإنه حري أن يقع فيها ؛ لأن الشيطان ما نسيها ولا نام عنها ، يدعو إليها .

فالشيطان وأتباعه من دعاة الضلال لا يزالون يدعون إلى الجاهلية ، وإلى إحياء أمور الجاهلية ، إلى الشركيات والبدع ، وإلى الخرافات ، وإلى إحياء الآثار ، وكل هذا القصد منه : طمس الإسلام ، وعودة الناس إلى الجاهلية ، فلا د من دراسة أمور الجاهلية من أجل أن نتجنبها ونبتعد عنها .

قال الشيخ : " وأعظم مسائل الجاهلية وأخطرها : عدم الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ " ؛ لأن أهل الجاهلية كذبوا الرسول ﷺ ولم يؤمنوا به ، ولم يقبلوا هدى الله الذي جاء به ، قال

....

- رحمه الله - : " فإذا انضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية تمت الخسارة " ، أي حصل فساد في الظاهر والباطن ، فساد في الباطن وهو عدم الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ وفساد في الظاهر وهو استحسان أمور الجاهلية ، فإذا فسد الظاهر والباطن تمت الخسارة ، والعياذ بالله . وهذا نتيجة الجهل وعدم معرفة أمور الجاهلية ، فلا يجوز استحسان ما عليه أهل الجاهلية ، بل يجب إنكاره واستبشاعه ، أما من استحسنه فإنه يكون من أهل الجاهلية ، واستدل الشيخ بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [1] . ﴿ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [2] يعني : صدقوا الباطل ، والباطل ضد الحق ، فما خالف الحق فهذا باطل ، والباطل هو : الذاهب الزائل الذي لا فائدة فيه ، قال تعالى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [3] .

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٥٢ .
(٢) سورة العنكبوت آية : ٥٢ .
(٣) سورة يونس آية : ٣٢ .

المسألة الأولى : دعاء الأولياء والصالحين

(إنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته ؛ يريدون شفاعتهم عند الله ؛ لظنهم أن الله يحب ذلك ، وأن الصالحين يحبونه ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [(١)] **.** ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [(٢)] **.**

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ فأتى بالإخلاص ، وأخبر أنه دين الله ، الذي أرسل به جميع الرسل ، وأن لا يقبل من الأعمال إلا الخالص ، وأخبر أن من فعل ما استحسنوا فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وهذه هي المسألة التي تفرق الناس من أجلها بين مؤمن وكافر ، وعندها وقعت العداوة ، ولأجلها شرع الجهاد ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [(٣)] **.**

الشـرح

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [(٤)] ، فالعبادة حق لله - جل وعلا - لا يجوز أن يعبد معه غيره كائنا من كان ، فالجاهلية عكسوا هذا الأمر ، فتركوا عبادة الله التي خلقوا من أجلها ، وعبدوا غير الله - جل وعلا - من الأصنام والأشجار والأحجار والجن والملائكة والأولياء والصالحين ، فصرفوا العبادة لغير الله ﷻ فمنهم من لا يعبد الله أصلا ، وهم الكفار ، من الملاحدة والدهرية ، ومنهم من يعبد الله ويعبد معه غيره . والحكم واحد ، فالذي يعبد مع الله غيره كالذي لا يعبد الله أصلا ؛ لأن عبادته باطلة ، والله لا يرضى بالشرك ، وأيضا لا بد أن يكون العمل موافقا لما شرعه الله

(١) سورة يونس آية : ١٨ .
(٢) سورة الزمر آية : ٣ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٩٣ .
(٤) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

....

- سبحانه وتعالى - فالله لا يقبل العمل الذي فيه بدعة ، كما لا يقبل العمل الذي فيه شرك ، فأعظم أمور الجاهلية : الشرك بالله ﷻ والابتداع .

وبدأ الشيخ - رحمه الله - بهذه المسألة ؛ لأنها أخطر مسائل الجاهلية ، ولأنها هي المسألة التي بدأ الرسول ﷺ في إنكارها ، ودعوة الناس إلى تركها ، فالرسول أول ما بدأ - كغيره من الرسل - بالأمر بإخلاص العبادة لله ﷻ وترك عبادة ما سواه ، هذا فاتحة دعوة الرسل ؛ لأن هذا هو الأساس الذي يبنى عليه غيره ، فإذا فسد الأساس فلا فائدة من الأمور الأخرى ، لا فائدة من الصلاة ولا من الصيام ولا من الحج ولا من الصدقات ولا من سائر العبادات ؛ إذا كان الأصل فاسدا والتوحيد معدوما ، فلا فائدة من الأعمال الأخرى ؛ لأن الشرك يفسدها ويبطلها .

وكانوا في الجاهلية يعبدون الله ، ويعبدون أشياء كثيرة ، ومنها : عبادة الأولياء والصالحين ، كما حصل لقوم نوح لما غلوا في الصالحين : ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، وعبدوا قبورهم من دون الله ﷻ بحجة أنهم صالحون ، وأنهم يقربون إلى الله ، وأنهم شفعاء عند الله ، كذلك درجت الجاهلية على هذا المنوال ، فكانوا يعبدون الأولياء والصالحين والملائكة ، ويقولون : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، ولا يقولون : هؤلاء شركاء لله في الربوبية ، إنما يقولون : إنما هم عباد الله يتوسطون لنا عند الله ، ويشفعون لنا ، ويقربوننا إلى الله زلفى ، ولا يسمون عملهم هذا شركا ؛ لأن الشيطان زين لهم أن هذا ليس بشرك ، وإنما هو توسل بالصالحين واستشفاع بالصالحين ، والعبرة ليست بالأسماء ، العبرة بالحقائق ، فهذا شرك وإن سموه تشفعا وتقربا ، فهو شرك ؛ لأن الأسماء لا تغير الحقائق ، والله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ

....

﴿ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [2] ، وقال : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [3] ، وقال : ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [4] ، العبادة لا تنفع إلا مع الإخلاص ، والمتابعة للرسول ﷺ .

فهذه أعظم مسائل الجاهلية ، وهي عبادة الأولياء والصالحين ، من الأموات والغائبين والاستغاثة بهم ، والاستعاذة بهم ، وطلب الحوائج منهم ، كما عليه عباد القبور اليوم تماما ، فعبادة الأضرحة الآن ، والتقرب إلى الأموات ، ودعاؤهم من دون الله ، والاستغاثة بهم ، هذا هو ما كانت عليه الجاهلية ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [5] .

كذلك نفس الشيء الآن ، هؤلاء القبوريون إذا نوقشوا ونهوا عن عبادة القبور ، قالوا : نحن ما نعبد القبور ؛ لأن العبادة لله ، لكن هؤلاء وسائط بيننا وبين الله ، وشفعاء لنا عنده . هذا هو الذي أنكره الله على أهل الجاهلية تماما ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [6] . وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [7] ما عبدوهم لأنهم يرون أنهم يشاركون الله في الخلق والرزق والإحياء والإماتة ، هم يعترفون أن هذا لله ، وإنما عبدوهم ليقربوهم إلى الله زلفى ، فيقولون : نحن عباد مذنبون ،

---

(١) سورة الكهف آية : ١١٠ .
(٢) سورة الزمر آية : ٢ .
(٣) سورة البينة آية : ٥ .
(٤) سورة غافر آية : ١٤ .
(٥) سورة يونس آية : ١٨ .
(٦) سورة يونس آية : ١٨ .
(٧) سورة الزمر آية : ٣ .

وهؤلاء رجال صالحون لهم جاه عند الله ، فنريد منهم أن يتوسطوا لنا عند الله في قبول توبتنا وعبادتنا . هكذا زين لهم شياطين الإنس والجن هذا الأمر . والعجيب أنهم يقرؤون القرآن ويمرون على هذه الآيات ولا ينتبهون لها ، ومع هذا يستمرون على عبادة القبور ، وهي من فعل الجاهلية ، وهذا لأنهم لم يعرفوا ما كانت عليه الجاهلية ، لم يعرفوا أن هذا من أمور الجاهلية ، هذا نتيجة الجهل بأمور الجاهلية .

ثم قال الشيخ - رحمه الله - : وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ فأتى بالإخلاص ، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل ، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص ، وأخبر أن من فعل ما استحسنوا فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار . وهذه هي المسألة التي تفرق لأجلها الناس بين مسلم وكافر ، وعندها وقعت العداوة ، ولأجلها شرع الجهاد ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ ﴾ [(١)] .

هل الله ﷻ بحاجة إلى أن يجعل بينه وبين العبد واسطة ؟ الله - جل وعلا - قريب مجيب ، يسمع ويرى ، ويرحم ويقبل التوبة عن عباده ، ولم يأمرنا باتخاذ الوسائط في الدعاء ، بل أمرنا بدعائه مباشرة ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [(٢)] ، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [(٣)] ، أمرنا الله بدعائه مباشرة ، ولم يأمرنا باتخاذ الوسائط بيننا وبينه .

أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ مسألة الشرك ؛ لأنه ﷺ لما بعثه الله وأرسله إلى الناس ، أول ما بدأ ، بالدعوة إلى توحيد الله ﷻ وإنكار الشرك ، وكان ﷺ يقول :

(١) سورة البقرة آية : ١٩٣ .
(٢) سورة غافر آية : ١٤ .
(٣) سورة غافر آية : ٦٠ .

....

﴿ قولوا : لا إله إلا الله ؛ تفلحوا ﴾ [1] [2] . ويقول : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم ﴾ [3] [4] فكان ﷺ يغشاهم في مجتمعاتم وفي منازلهم ، وفي أيام الموسم في الحج ، ويدعوهم إلى التوحيد ، ويذهب هنا وهناك ، كما ذهب إلى الطائف يدعوهم إلى التوحيد ، وإفراد الله - جل وعلا - بالعبادة ، هذا أول ما بدأ به - ﷺ - ؛ لأن هذا هو الأساس ، وهكذا يجب على الدعاة أن يهتموا بذا الأمر ، وأن يجعلوا الدعوة إلى التوحيد هي أهم شيء في دعوتم .

فقد أتى ﷺ بالإخلاص ، إخلاص العبادة لله ﷻ وترك عبادة ما سوى الله من الأولياء والصالحين أو غيرهم ، هذا هو دين الرسل ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [5] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [6] فهذا هو منهج الرسل - عليهم الصلاة والسلام - الدعوة إلى عبادة الله ، وترك عبادة ما سواه ، وبقية الإصلاحات تأتي تبعا لذلك .

والله - جل وعلا - لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه ، ليس فيه شرك ، وأيضا لا بد أن يكون العمل موافقا لما شرعه الله - سبحانه وتعالى - فالله لا يقبل

---

(١) أحمد (٤٩٢/٣) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٩٢/٣) (٦٣/٤ ، ٣٤١) ، وابن حبان في صحيحه (رقم ٦٥٢٨) والطبراني في الكبير (٦١/٥ رقم ٤٥٨٢) والدارقطني في السنن (٤٥/٣) والبيهقي في دلائل النبوة (٣٨٠/٥) والحاكم في المستدرك (٥١٢/٣ رقم٤٢٧٥) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٣) البخاري الجهاد والسير (٢٧٨٦) ، مسلم الإيمان (٢١) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٦) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٧١) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٠) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٢٨) ، أحمد (١١/١) .

(٤) أخرجه البخاري (رقم ١٣٩٩ ، ٢٩٤٦) ومسلم (رقم ٢٠ ، ٢١) .

(٥) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

(٦) سورة النحل آية : ٣٦ .

....

العمل الذي فيه بدعة ولا ما كان فيه شرك ، قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ ۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [2] لم يقتصر على الأمر بعبادة الله ، بل نهى عن الشرك ؛ لأن عبادة الله لا تقبل إذا كان فيها شرك ، والكفر بالطاغوت مقدم على الإيمان بالله ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾ [3] .

وهذا هو معنى لا إله إلا الله ، فهي مكونة من نفي وإثبات ، نفي الشرك ، وإثبات التوحيد ، (لا إله) إبطال لجميع المعبودات (إلا الله) إثبات لعبادة الله وحده ، فالله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه ، ولا يقبل العمل الذي فيه بدعة ومخالفة لمنهج الرسول ﷺ قال ﷺ : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » [4] [5] وفي رواية : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » [6] [7] ولذلك قال العلماء : إن العمل لا يقبل إلا بشرطين : الشرط الأول : الإخلاص لله ﷻ والشرط الثاني : المتابعة للرسول ﷺ فإذا اختل أحد الشرطين ؛ لم يقبل هذا العمل ، ولم يكن عملا صالحا .

---

(١) سورة الكهف آية : ١١٠ .
(٢) سورة النساء آية : ٣٦ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٦ .
(٤) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٥٦/٦) .
(٥) أخرجه مسلم (رقم ١٨/١٧١٨) والبخاري تعليقا في كتاب الاعتصام ، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود .
(٦) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٧٠/٦) .
(٧) أخرجه البخاري رقم (٢٦٩٧) ومسلم (رقم١٧/١٧١٨) .

....

وأخبر - جل وعلا - أن من عبد ما يستحسنه من الأصنام والأولياء والأشجار والأحجار والقبور ، ولم يرجع في العبادة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإنما اعتمد على الاستحسان أو على ما تهواه نفسه ، ولو خالف الكتاب والسنة ، أخبر الله - جل وعلا - أن الله قد حرم عليه الجنة ومأواه النار ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ (1) يعني : منعه من دخول الجنة منعا باتا ، فالتحريم في اللغة : المنع ، فالمشرك ممنوع من دخول الجنة بتاتا ، لا طمع له فيها ، ومأواه النار ، هذه عاقبة الشرك بالله ﷻ وإن كانوا يقولون : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ (2) ، هؤلاء إذا ماتوا على ذلك ، غير تائبين ، حرم الله عليهم الجنة ، وجعل النار مأواهم أبد الآباد . فالذي يريد لنفسه النجاة يتنبه لهذا ، ولا يبقى على أمور الجاهلية في هذا وغيره .

وقوله - رحمه الله - : (وهذه المسألة هي التي تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر) يعني مسألة التوحيد والشرك ، جماعة صدقوا الرسول ﷺ وآمنوا به ، وأخلصوا العبادة لله ﷻ هؤلاء مؤمنون ، وقوم خالفوه وبقوا على شركهم وعبادتم ، وما كان يعبده آباؤهم من قبل ، كما عليه أمم الكفر الذين يعارضون الرسل ؛ لأنم يريدون البقاء على ما كان عليه آباؤهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (3) ، وقالوا : ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ (4) ، هذه مقالتهم وحجتهم ، وهي التمسك بما عليه الآباء والأجداد ، من عبادة غير الله ﷻ .

---

(1) سورة المائدة آية : ٧٢ .
(2) سورة الزمر آية : ٣ .
(3) سورة الزخرف آية : ٢٣ .
(4) سورة هود آية : ٦٢ .

....

وقوله - رحمه الله - : (وعندها وقعت العداوة) أي : بين الموحدين والمشركين ، بين المؤمنين والكفار ، فإنه يجب على المؤمنين أن يعادوا الكفار ، فلا تجوز محبة الكفار حتى ولو كانوا أقرب الناس ، قال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ ﴾ (١) فلا بد من الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، والبراء من الكفر والكافرين ، والشرك والمشركين ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ (٢) هذه ملة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - .

أما الذين ينادون الآن بالمحاورة بين الأديان ، والمفاهمة بين الأديان ، وأنا كلها أديان سماوية ؛ بل بعضهم يتجرأ ويقول : لا تكفر اليهود والنصارى . فهذا خلاف ما جاء به الرسول ﷺ وخلاف ما جاء به القرآن ، وخلاف ملة إبراهيم التي أمرنا باتباعها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣) وهؤلاء يقولون : اليهود والنصارى أهل كتاب وأهل إيمان ، وكلها أديان من عند الله ، نتفاهم فيما بيننا ونتعاون ، ولا تكفرون اليهود والنصارى . هذه دعوة الآن قائمة ، وهي قضاء على الولاء والبراء بين المؤمنين والكفار ، كل من لم يؤمن بالرسول محمد ﷺ فهو كافر ، سواء كان كتابيا أو غير كتابي ؛ لأنه بعد بعثة الرسول ﷺ لا يسع أحدا إلا أن يؤمن به ، فمن لم يؤمن به فهو كافر ، واليهود والنصارى لا يؤمنون بالرسول ، فهم كفار ، قال ﷺ : ﴿ والذي نفس

---

(١) سورة المجادلة آية : ٢٢ .
(٢) سورة الممتحنة آية : ٤ .
(٣) سورة التوبة آية : ٢٣ .

....

محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار ﴾ (١) (٢) فبعد بعثة النبي ﷺ لا يسع أحدا الخروج عن ملته ، حتى إنه قال - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ . والله لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي ﴾ .

فبعد بعثة النبي ﷺ ليس فيه دين صحيح غير دين الإسلام ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (٣) .

فهذه دعوة باطلة ، تعقد لها الآن مؤتمرات وندوات ، وتنفق فيها أموال للدعوة للتقارب بين الأديان - يسمونه - الحوار بين الأديان . سبحان الله ! حوار بين إيمان وكفر ؟ ! وبين شرك وتوحيد ؟ ! بين أعداء الله وأولياء الله ؟ !

ثم قال الشيخ - رحمه الله - (ولأجلها شرع الجهاد ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾ (٤)) .

فالواجب علينا نحو الكفار : ثلاثة أمور :

الأمر الأول : عداوتم ؛ لأنم أعداء لله - سبحانه وتعالى - وأعداء لرسوله .

الأمر الثاني : دعوتم إلى الإيمان واتباع الرسول ﷺ هذا أمر واجب على المسلمين .

الأمر الثالث : جهادهم إذا دعوا إلى الإسلام وأبوا فالواجب جهادهم وقتالهم ، قال تعالى : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾ (٥) ، فالمرحلة الأخيرة معهم القتال ، إذا كان المسلمون يطيقون القتال ، قال تعالى : ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ

---

(١) مسلم الإيمان (١٥٣) ، أحمد (٣٥٠/٢) .
(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٥٣) .
(٣) سورة آل عمران آية : ٨٥ .
(٤) سورة الأنفال آية : ٣٩ .
(٥) سورة الأنفال آية : ٣٩ .

....

﴿ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ ﴾ [1] الآية ، وهذه الآية فيها بيان الحكمة من الجهاد في الإسلام ، وأنا : إزالة الشرك ، حتى لا تكون فتنة ، والمراد بالفتنة : الشرك ، أي حتى لا يوجد شرك ، ويكون الدين كله لله ، هذا هو المقصود من الجهاد ، ليس المقصود من الجهاد توسيع السلطة والاستيلاء على الممالك ، وحصول الثروة ، ليس هذا هو المقصود ، المقصود إعلاء كلمة الله ﷻ وإزالة الشرك من الأرض ، هذا هو المقصود .

وكذلك ليس المقصود من الجهاد في الإسلام الدفاع ، كما يقوله بعض الكتاب المخذولين ، يقولون : إن الإسلام لا يأمر بقتال الكفار ؛ لأنه وحشية ، لكن القتال الذي في الإسلام من أجل الدفاع ، يعني : إذا اعتدوا علينا نحن نقاتلهم ؛ لصد العدوان فقط . سبحان الله ! الله - جل وعلا - يقول : ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [2] ، ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾ [3] المقصود بالقتال في الإسلام : نشر الدعوة ، ونشر الدين ، وإزالة الشرك ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾ [4] ، هذا هو المقصود منه ، فالقتال في الإسلام على نوعين :

النوع الأول : قتال دفاع ، عند عجز المسلمين .

النوع الثاني : قتال طلب ، عند قوة المسلمين وقدرتم عليه .

---

(١) سورة التوبة آية : ٥ .
(٢) سورة التوبة آية : ٥ .
(٣) سورة الأنفال آية : ٣٩ .
(٤) سورة الأنفال آية : ٣٩ .

المسألة الثانية : تفرق أهل الجاهلية في عباداتم ودينهم

(إنم متفرقون في دينهم ، كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [1] **وكذلك في دنياهم ، ويرون أن ذلك هو الصواب ، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله :** ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [2] **، وقال تعالى :** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ ﴾ [3] **ونانا عن مشابتهم بقوله :** ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ ﴾ [4] **، ونانا عن التفرق في الدنيا بقوله :** ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾ [5] **) .**

الشــرح

هذه هي المسألة الثانية من المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية ، وهي أن أهل الجاهلية كانوا متفرقين في دينهم وفي دنياهم ، وصفتهم التفرق والاختلاف ، كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [6] ، هذه صفة أهل الجاهلية من اليهود والنصارى والوثنيين ، وسائر الملل الجاهلية كانوا على هذا النمط ، متفرقين في دينهم ، كل منهم له دين ينادي به وينتسب إليه ، النصرانية تدعو إلى النصرانية ، واليهودية تدعو إلى اليهودية ، وكل من الديانتين يكفر الديانة الأخرى ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ

---

(١) سورة الروم آية : ٣٢ .
(٢) سورة الشورى آية : ١٣ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .
(٥) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٦) سورة الروم الآيتان : ٣١ - ٣٢ .

....

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [1] الذين لا يعلمون هم المشركون ؛ لأنهم لا كتاب لهم وليس لهم دين سماوي ، وهم أيضا يكفر بعضهم بعضا ، ويخالف بعضهم بعضا . ﴿ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [2] أي بين الله - سبحانه وتعالى - من هو على الحق ومن هو على الباطل ، ويجازي كلا بعمله ، ودين الله واحد ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [3] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [4] .

فدين الله واحد لجميع الخلق من يهودي ونصراني ووثني وعربي وعجمي ، فدين الله واحد ، وهو عبادته وحده لا شريك له ؛ لكن هؤلاء فرقوا دينهم وصار لكل طائفة منهم دين يختلف عن الدين الآخر ، فاليهود أنفسهم كانوا مختلفين فيما بينهم ، والنصارى كانوا مختلفين ، كانوا فرقا مختلفة ، وهم إلى الآن على اختلاف .

وكذلك العرب الوثنيون متفرقون في عبادتهم ، منهم من يعبد الشمس ، ومنهم من يعبد القمر ، ومنهم من يعبد الأصنام ، ومنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار .

هذه حالة أهل الجاهلية من كتابيين وأميين ، لا يجمعهم دين ، وعندهم حزبيات ﴿ كُلُّ حِزۡبِۢ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [5] وهذا من تمام العقوبة والابتلاء ، ؛ كون الإنسان يفرح بما هو عليه من الباطل ، كان الواجب العكس ، وأن الإنسان يخاف من الضلال ، ويخاف من الانحراف ، ويخاف من الهلاك ، لكن هؤلاء بالعكس ﴿ كُلُّ حِزۡبِۢ

(١) سورة البقرة آية : ١١٣ .
(٢) سورة البقرة آية : ١١٣ .
(٣) سورة الذاريات آية : ٥٦ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢١ .
(٥) سورة الروم آية : ٣٢ .

﴿ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [1] دون النظر إلى كون ما هو عليه حقا أو باطلا ، المهم أنا نحلة آبائهم وأجدادهم وقومهم وعشيرتم ، ولا يهمهم هل هو حق أو باطل ، وهذا من الابتلاء والامتحان ، إذا فرح الإنسان بالباطل ، فهذه عقوبة ؛ لأنه إذا فرح بالباطل فلن يتحول عنه .

هذه صفة أهل الجاهلية ، والله - جل وعلا - نانا عن ذلك ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [3] ، وأنزل على رسوله ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [4] هذا هو الذي شرعه الله ، إقامة الدين الذي هو دين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، صلى الله وسلم عليهم أجمعين ، وهو دين الأنبياء جميعا ، لكن ذكر هؤلاء ؛ لأنم أفضل الرسل وأولو العزم الخمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلى الله وسلم عليهم - هم أولو العزم وأفضل الرسل ، وأخذ الله الميثاق من جميع الرسل ، وعلى الخصوص على هؤلاء الخمسة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [5] وجميع الرسل دينهم واحد ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، هذا دين جميع الرسل عموما ، والخمسة خصوصا ، لا يقبل الاختلاف ولا التفرق ، فلا يكن لكل واحد دين ، ولا لكل

---

(١) سورة الروم آية : ٣٢ .
(٢) سورة الروم الآيتان : ٣١ - ٣٢ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٤) سورة الشورى آية : ١٣ .
(٥) سورة الأحزاب آية : ٧ .

....

طائفة دين ، وإنما دين الجميع واحد ، هو دين الله - جل وعلا - على جميع الخلق ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1] .

جميع الخلق الجن والإنس يجب أن يكون دينهم واحدا ، هو التوحيد ، وإفراد الله بالعبادة ، والعبادة بينها على ألسن الرسل ، ما وكلها إلى الناس ؛ بل أنزل علينا كتابا وأرسل إلينا رسلا ، وقال : هذا هو الدين ، وهذه هي العبادة . وهي توقيفية ، والدين توقيفي ، ليس من حق الناس أن يشرعوا لهم أديانا ؛ بل هذا من حق الله - سبحانه وتعالى - هو الذي يشرع الدين ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [2] ، هذا إنكار منه - سبحانه وتعالى - فالدين هو ما شرعه الله ، وأنزله في كتبه ، وعلى ألسن رسله ، عليهم الصلاة والسلام ، فهو توقيفي ، والرسل إنما هم مبلغون عن الله - جل وعلا - يبلغون عن الله ما شرعه لعباده ، هذه وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهم متعبدون بذا الدين مثل غيرهم ، عباد يعبدون الله - جل وعلا - بذا الدين الذي شرعه لهم ولأممهم .

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [3] هذا نهي لنا أن نكون مثل أهل الجاهلية الذين تفرقوا في دينهم واختلفوا ، ولم يكن هذا عن جهل منهم ، وإنما هو عن هوى ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ﴾ [4] تركوا البينات واتبعوا الهوى ، فالذي حملهم على هذا التفرق هو الهوى ؛ - والعياذ بالله - اتخذوا أهواءهم آلهة من دون الله ﷻ والله - جل وعلا - لم يترك حجة لأحد ، أرسل الرسل وأنزل الكتب ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦ .
(٢) سورة الشورى آية : ٢١ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .

....

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [1] .

فالله - جل وعلا - ما ترك الناس ، منذ أن أهبط آدم إلى الأرض ، لم يترك الناس بلا دين وبلا نبي ؛ بل ما زال - جل وعلا - يرسل الرسل متتابعة ، ويشرع للناس الدين ويبينه لهم ، إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي لا تنسخ ملته حتى تقوم الساعة ، ومدادها الكتاب والسنة ، فما من وقت من الأوقات إلا وهناك دين لله - جل وعلا - جاءت به الرسل ، ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [2] ، ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [3] ليس لأحد حجة ﴿ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ [4] فالله - جل وعلا - أقام الحجة على الخلق .

لكن أهل الجاهلية خالفوا ما جاءت به الرسل ، لا عن جهل ، وإنما هو عن عناد واتباع للهوى ، خصوصا اليهود والنصارى فهم على علم بذلك ؛ ولذلك سماهم الله أهل الكتاب ، من باب العيب عليهم ، أنم أهل كتاب وأهل علم ، ومع هذا يخالفون أمر الله - سبحانه وتعالى - ويتبعون أهواءهم . نى الله هذه الأمة أن تسلك هذا المسلك الجاهلي ، وأمرهم أن يتمسكوا بالدين الذي أنزله على رسوله ﷺ والذي سار عليه صحابة الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون ، هذا هو الدين الذي يجب أن تتمسك به الأمة إلى أن تقوم الساعة ، وإذا اختلفوا في شيء أن يردوه إلى الكتاب والسنة ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [5] .

---

(١) سورة البقرة الآيتان : ٣٨ - ٣٩ .
(٢) سورة فاطر آية : ٢٤ .
(٣) سورة النساء آية : ١٦٥ .
(٤) سورة المائدة آية : ١٩ .
(٥) سورة النساء آية : ٥٩ .

....

والاختلاف من طبيعة البشر ، لكن الله - جل وعلا - أحالنا على الكتاب والسنة إذا اختلفنا ولا ندري أينا المصيب ، نرجع إلى الكتاب والسنة ، فما شهد له الكتاب والسنة بأنه حق أخذنا به ، وما شهدا أنه غير حق تركناه ؛ لأن هدفنا اتباع الحق ، لا الانتصار للآراء ، أو تعظيم الآباء والأجداد أو الشيوخ ، ليس هذا شأن المسلمين ، الحق هو ضالة المؤمن ؛ أين وجده أخذه ، الهدف الحق ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [1] من بقائكم على النزاع ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾ ﴾ [2] يعني : أحسن عاقبة . وهذا من رحمة الله - سبحانه وتعالى - لنا ؛ أنه أبقى فينا ما يحل النزاع ويدل على الحق ، وهو كتابه ، ولهذا قال : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ [3] وهو القرآن جميعا ليس بعضكم فقط ، بل جميعا ، أي جميع الخلق عموما ، وهذه الأمة خصوصا ﴿ وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ ﴾ [4] ، ﴿ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ [5] دين الجاهلية ﴿ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ ﴾ [6] أنقذكم بالإسلام ، وبهذا القرآن ، فاشكروا نعمة الله ﷻ والاعتصام بحبل الله هو الاعتصام بالكتاب ؛ لأن الكتاب هو حبل الله الممدود الذي من تمسك به نجا ، ومن أفلت منه هلك .

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .
(٢) سورة النساء آية : ٥٩ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٥) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٦) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

هذا ما قصه الله علينا من حالة أهل الجاهلية : أنهم ﴿ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا ۖ كُلُّ حِزۡبِۢ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [1] ، ثم نهانا عن ذلك ، نهانا أن نتشبه بهم ، ثم أمرنا بالاعتصام بكتابه الذي هو أمان من الاختلاف وأمان من النزاع والهلاك ، فلا نجاة إلا بالاعتصام بكتاب الله - جل وعلا - وسنة رسوله ﷺ ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [2] ، فأهل الجاهلية متفرقون في دينهم ، كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ حِزۡبِۢ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [3] مسرورون بمذهبهم ، وإن كان باطلا . وكذلك كانوا متفرقين في سياسة دنياهم ؛ لأن من ضيع الدين ضيع الدنيا ، فكانوا في دنياهم متفرقين لا يجمعهم جماعة ؛ بل كل قبيلة تحكم نفسها بنفسها ، وكل قبيلة تستبيح دماء القبيلة الأخرى وأموالها .

هذه حالة العرب قبل بعثة الرسول ﷺ لما ضيعوا دينهم ضيعوا دنياهم ، وصار الخوف والقلق والجوع ملازما لهم دائما ، وكانت الجاهلية كلها حروبا ، وكلها غارات وثارات ، حتى الإخوة يتقاتلون في الجاهلية ، فالأوس والخزرج في المدينة هم إخوة من ناحية النسب ، قبيلة واحدة قحطانية ، لكن قامت بينهم حرب طاحنة استمرت أكثر من مائة سنة ، يسمونها " حرب بعاث " بين الأوس والخزرج ، وكان اليهود يوقدونها ، فلما بعث الله نبيه محمدا ﷺ وهاجر إلى المدينة ، جمعهم الله به ، وطفئت الحروب ، وتآخى المسلمون ، وصاروا يدا واحدة مع الرسول ﷺ وهذا ما ذكرهم الله به ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ [4] ألف الله بين قلوبهم بالإسلام ، وانطفأت الحروب التي بينهم ، وصلحت دنياهم ، كذلك بقية قبائل العرب

---

(١) سورة الروم آية : ٣٢ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٣) سورة الروم آية : ٣٢ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

....

لما دخلوا في الإسلام ، صلحت دنياهم لما صلح دينهم ، وأمنوا على دمائهم وأموالهم ، وصاروا يسيرون في الأرض آمنين ، وصار العربي يلقى العربي الآخر من أي قبيلة فلا يعرض له بسوء ؛ بل سادت المحبة بينهم ، تآخوا في دين الله ﷻ .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [1] هذه براءة من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، أي : أحزابا ؛ لأن المطلوب أن يكون الدين واحدا ، وأن يكون الناس جماعة واحدة على الدين ، هذا هو الذي أمر الله به - سبحانه وتعالى - فمن كان كذلك فالرسول ﷺ يواليه ، وهو وليه ، أما من فرق دينه وبقي على ال اع ، وبقي على أمر الجاهلية ، فالرسول بريء منه .

يبقى أن نعرف حقيقة الاختلاف ، أو الخلاف ، في المسائل الفقهية . فالخلاف واقع وموجود الآن في أمور الفقه ، فهل هذا من الاختلاف المذموم ؟

نقول : الاختلاف على قسمين :

القسم الأول : الاختلاف في الدين ، كالاختلاف في العبادة والعقيدة ، وهذا اختلاف مذموم ومحرم ؛ لأن الدين ليس مجالا للاجتهاد ، وليس مجالا للآراء ، بل الدين توقيفي ، والعقيدة توقيفية ، لا مجال للاجتهاد فيها ، علينا أن نتمسك بما شرعه الله لنا من الدين ومن العقيدة ، دون أن نتدخل بآرائنا واجتهاداتنا . كذلك العبادة توقيفية ؛ ما جاءنا به دليل عملنا به ، وما ليس عليه دليل فإنه بدعة يجب علينا تركه ؛ لحديث : ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [2] [3] وحديث : ﴿ وإياكم ومحدثات الأمور ،

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

(٢) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأقضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٦/٢٧٠) .

(٣) أخرجه البخاري رقم (٢٦٩٧) ومسلم (رقم١٧١٨/١٧) .

....

فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ﴾ [1] [2] فأمور العقيدة وأمور العبادة وأمور الدين عموما لا مجال للخلاف فيها أبدا ، وإنما تتبع فيها النصوص من الكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف هذه الأمة .

القسم الثاني : الاختلاف فيما للرأي فيه مجال ، أو ما هو مسرح للاجتهاد من مسائل الفقه ، واستنباط الأحكام من الأدلة ، هذا يقع فيه الاختلاف ؛ لأن مدارك الناس تختلف في الاستنباط من النصوص ، ومسائل الإجماع محصورة ، ولا يجوز مخالفتها . لكن ما ليس عليه إجماع من المسائل الاجتهادية التي هي مجال للاجتهاد فالله - جل وعلا - أعطى كل عالم بحسب ما خصه به من المدارك والفهم ، وما يصل إليه من النصوص ، والاجتهاد مشروع في ذلك ، وقد حصل الاجتهاد في عهده ﷺ كما هو معروف ، فهذا اختلاف في الاجتهاد ، وليس اختلافا في العقيدة ولا في الدين ، وإنما هو اختلاف في مسائل الفقه ، وكان الناس في عهد النبي ﷺ يجتهدون ويختلفون . وهذا الاجتهاد على قسمين :

قسم ظهر الدليل مع أحد الطرفين المختلفين فيه فيجب أخذ ما عليه الدليل ، وترك ما لم يقم عليه الدليل ، فتعرض آراء الفقهاء على الدليل ، فما دل عليه الدليل وجب الأخذ به وترك ما خالفه ، ويجب على المجتهد الذي لم يوفق للصواب وخالف الدليل أن يقبل الحق ويرجع إلى الصواب ، ولا يجوز له الاستمرار في الاجتهاد الخاطئ ، ولا يجوز لنا أن نتبعه على الاجتهاد الخاطئ ، والأئمة يوصوننا بذا ويقولون : اعرضوا أقوالنا على الكتاب والسنة ، فالإمام أبو حنيفة - رحمه الله - يقول : " إذا جاء الحديث عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء الحديث عن صحابة رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين ، وإذا

(١) مسلم الجمعة (٨٦٧) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٧٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٥) ، أحمد (٣١١/٣) ، الدارمي المقدمة (٢٠٦) .

(٢) أخرجه النسائي (٢٠٩/٣ - ٢١٠ رقم ١٥٧٧) واللفظ له وأبو داود (١٢/٥ - ١٣ رقم ٤٦٠٧) وابن ماجه (٣٠/١ - ٣١ رقم ٤٢) والترمذي (٤٤/٥ رقم ٢٦٨١) بنحوه وأخرج الإمام مسلم قطعة منه : " وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة " (رقم ٨٦٧) .

....

جاء الحديث عن التابعين فنحن رجال وهم رجال " . هذا كلام الإمام أبي حنيفة ، أقدم الأئمة الأربعة .

والإمام مالك - رحمه الله - يقول : " كلنا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر " . يعني : رسول الله ﷺ ويقول - رحمه الله - : " أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل ، تركنا ما نزل به جبريل على محمد لجدل هؤلاء ؟ ! " هذا كلام الإمام مالك - رحمه الله - .

ويقول - رحمه الله - : " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها " ، ما هو الذي أصلح أولها ؟ الكتاب والسنة . هذا كلام الإمام مالك - رحمه الله - .

والإمام الشافعي - رحمه الله - يقول : " أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد " ، ويقول - رحمه الله - : " إذا خالف قولي قول رسول الله ﷺ فاضربوا بقولي عرض الحائط " ، ويقول - رحمه الله - : " إذا صح الحديث فهو مذهبي " . هذه كلمات الشافعي - رحمه الله - [1] .

والإمام أحمد - رحمه الله - يقول : " عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ، يذهبون إلى رأي سفيان ! والله تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [2] أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله - يعني الرسول ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك " .

إذا ، هذه أقوال الأئمة المتهدين ، اجتهدوا عن علم وعن أهلية للاجتهاد ، لكن لم يدعوا لأنفسهم العصمة ، بل أوصوا أن يؤخذ من أقوالهم ما وافق الدليل ، فيجب على الحنبلي إذا رأى الدليل مع الشافعي أن يأخذ بقول الشافعي ، وواجب على الشافعي إذا رأى الدليل مع الحنفي أن يأخذ بقول الحنفي ، وواجب على المالكي إذا رأى الدليل مع

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٣٤/١٠ - ٣٥) .
(٢) سورة النور آية : ٦٣ .

....

الحنبلي أن يأخذ بقول الحنبلي ؛ لأن الغرض هو اتباع الدليل ، ليس الغرض قول فلان ولا فلان ، فلا يتعصبون لأئمتهم ، وإنما يتعصبون للدليل فقط . وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم والإمام محمد بن عبد الوهاب كلهم يأمرون بذا ويقولون : انظروا في أقوال العلماء ، فخذوا ما قام عليه الدليل . وكلامهم في هذا معلوم من كتبهم .

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، لا تعصب ، لكن ليس معنى هذا أن نرفض المذاهب ونتركها ؛ بل نستفيد من المذاهب ومن فقه الأئمة ؛ لأنه ثروة عظيمة ، لكن نتابع الدليل ، من كان معه دليل أخذنا بقوله ، هذا هو الواجب .

ومن لا يعرف الدليل يسأل أهل العلم ، قال تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (1) ؛ لأنك تريد براءة الذمة ، فإذا كنت تعرف ، فالحمد لله ، خذ بالدليل ، وإذا كنت لا تعرف فإنك تسأل أهل العلم ، هذا هو الواجب .

القسم الثاني من هذا الاجتهاد الفقهي ما لم يظهر فيه دليل مع أحد القولين ؛ بل كلا القولين محتمل ، فهذا لا إنكار في مسائل الاجتهاد ، ما دام لم يترجح شيء منها بالدليل ، فلا إنكار على من أخذ بقول من الأقوال ؛ شريطة ألا يكون عنده تعصب أو هوى ، وإنما قصده الحق ؛ لذلك لا ينكر الحنبلي على الشافعي ، ولا ينكر الشافعي على المالكي ، والأئمة الأربعة وأتباعهم إخوة على مدار الزمان ، ولله الحمد ، ما وقع بينهم عداوات ، ولا وقع بينهم حزازات ، وإن وقع شيء من ذلك فإنما هو من بعض المتعصبة ، الذين لا عبرة بم ، لكن جمهور أصحاب المذاهب الأربعة - والحمد لله - ليس بينهم عداء ولا تفرق ولا حزازات ، يتزاوجون ، ويصلي بعضهم خلف بعض ، ويسلم بعضهم على بعض ، ويتآخون ، مع أن عندهم اختلافا في بعض المسائل الاجتهادية المحتملة ، التي لم

(1) سورة النحل آية : ٤٣ .

....

يظهر رجحان بعضها على بعض ، ومن هنا قالوا الكلمة المشهورة : " لا إنكار في مسائل الاجتهاد " .

فإذا كان أهل بلد على قول من هذه الأقوال الاجتهادية التي لم يظهر ما يخالفها ولا ما يعارضها ، مجتمعين على رأي من هذه الآراء الفقهية ، فلا يسوغ لأحد أن يفرق هذا الاجتماع ، بل ينبغي الوفاق وعدم الاختلاف .

المسألة الثالثة

اعتبارهم مخالفة ولي الأمر فضيلة وطاعته والانقياد له ذلة ومهانة

اعتبارهم : (أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة ، والسمع والطاعة له ذل ومهانة ، فخالفهم رسول الله ﷺ وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة ، وغلظ في ذلك وأبدى وأعاد .

وهذه المسائل الثلاث هي التي جمع بينها فيما صح عنه في الصحيح أنه قال : ﴿ إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ﴾ [(١)] [(٢)] . ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال في هذه الثلاث أو بعضها) .

الشـرح

من مسائل الجاهلية : أنم لا يخضعون لولي الأمر ، ويرون أن هذا ذلة ، ومعصية الأمير يعتبرونا فضيلة وحرية ؛ ولذلك لا يجمعهم إمام ، ولا يجمعهم أمير ؛ لأنم لا يخضعون ، وعندهم أنفة وكبر .

فجاء الإسلام بمخالفتهم وأمر بالسمع والطاعة لولي الأمر المسلم ؛ لما في ذلك من المصالح ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ [(٣)] فأمر بطاعة ولاة الأمور ، والرسول ﷺ حدد ذلك في غير المعصية ، فقال : ﴿ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴾ [(٤)] [(٥)] وقال : ﴿ إنما الطاعة بالمعروف ﴾ [(٦)] [(٧)]

---

(١) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٢/٣٦٧) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٧١٥) .

(٣) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٤) مسلم الإمارة (١٨٤٠) ، النسائي البيعة (٤٢٠٥) ، أبو داود الجهاد (٢٦٢٥) ، أحمد (١/١٣١) .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١/١٣١) .

(٦) البخاري المغازي (٤٠٨٥) ، مسلم الإمارة (١٨٤٠) ، النسائي البيعة (٤٢٠٥) ، أبو داود الجهاد (٢٦٢٥) ، أحمد (١/٩٤) .

(٧) أخرجه البخاري بلفظ : " لا طاعة في معصية ، إنما الطاعة في المعروف " (رقم ٧٢٥٧) ، ومسلم (رقم ١٨٤٠/٣٩) .

....

فتجب طاعة ولي الأمر في غير معصية الله ، فإذا أمر بمعصية فلا يطاع ، لكن لا يخالف في بقية الأمور ، لا يطاع في هذه المسألة خاصة التي فيها معصية ، أما بقية الأمور فلا تنتقض بيعته بسبب ذلك ، ولا يخالف ، ما دام أنه على الإسلام ؛ لما في طاعة ولاة الأمور من اجتماع الكلمة ، وحقن الدماء ، واستتباب الأمن ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، ورد الحقوق إلى أصحابا ، والحكم بين الناس بالعدل ، حتى ولو كان ولي الأمر غير مستقيم في دينه ، بأن كان فاسقا ، ما لم يصل إلى الكفر ، كما قال ﷺ : ﴿ اسمعوا وأطيعوا ، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم عليه من الله برهان ﴾ [(١)] [(٢)] فما دامت معاصيه دون الكفر ، فإنه يسمع له ويطاع ، وفسقه على نفسه ، لكن ولايته وطاعته لمصلحة المسلمين .

ولهذا لما قيل لبعض الأئمة : إن فلانا فاسق لكنه قوي ، وإن فلانا صالح لكنه ضعيف ، أيهما يصلح للولاية ؟ قال : الفاسق القوي ؛ لأن فسقه على نفسه ، وقوته للمسلمين . أما هذا الصالح فإن صلاحه لنفسه وضعفه يضر المسلمين .

فيسمع له ويطاع وإن كان فاسقا في نفسه ، بل وإن جار وإن ظلم ، يقول رسول الله ﷺ : ﴿ أطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك ﴾ [(٣)] [(٤)] ؛ لأن في طاعته مصلحة أرجح من المفسدة التي هو عليها ، ولأن مفسدة الخروج عليه أعظم من مفسدة البقاء على طاعته وهو عاص ؛ لأن في الخروج عليه سفكا للدماء وإخلالا بالأمن وتفريقا للكلمة .

وماذا حصل للذين خرجوا على الأمراء وولاة الأمور مما قصه التاريخ ؟ ماذا حصل لما إن نازغة من الشذاذ في عهد عثمان ﷺ وشقوا عصا الطاعة وقتلوا أمير المؤمنين عثمان ؟

---

(١) صحيح البخاري كتاب الفتن (٦٦٤٧) ، صحيح مسلم كتاب الإمارة (١٧٠٩) ، مسند أحمد (٣١٤/٥) .
(٢) أخرجه البخاري (رقم ٧٠٥٦) ، ومسلم (رقم ٤٢/١٧٠٩) .
(٣) مسلم الإمارة (١٨٤٧) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٤٤) .
(٤) أخرجه مسلم (رقم ١٨٤٧) .

....

ماذا حصل على المؤمنين من النكسات إلى الآن ؛ بسبب الخروج على أمير المؤمنين وقتله ؟ فلا يزال المسلمون يعانون من النكسات المتوالية والمفاسد ، وكذلك في حق بقية الولاة الصبر على طاعته وإن كان فيه مفسدة جزئية أخف من مفسدة الخروج عليه ؛ فلذلك أوجب النبي ﷺ طاعته ما لم يخرج عن الإسلام ، ولو كان فاسقا ، ولو كان ظالما ، فإنه يصبر على هذه المفاسد الجزئية ؛ درءا للمفسدة العظيمة ، وارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما ، هذا شيء معروف . وما من قوم خرجوا على إمامهم إلا كانت المفسدة في الخروج عليه أعظم من المفسدة في الصبر على طاعته .

وهذا فرق ما بين أهل الجاهلية ، وأهل الإسلام في مسألة ولاة الأمور ، أهل الجاهلية لا يرون الطاعة لولاة الأمور ، ويرون ذلك ذلة . وأما الإسلام : فإنه أمر بطاعة ولاة أمور المسلمين ، وإن كان عندهم شيء من الفسق في أنفسهم ، أو عندهم ظلم للناس ، يصبر عليهم ؛ لأن في ذلك مصالح للمسلمين ، وفي الخروج عليهم مضار للمسلمين أعظم من المفاسد التي في البقاء على طاعتهم مع انحرافهم الذي لا يخرجهم عن الإسلام ، هذه القاعدة العظيمة التي جاء بها الإسلام في هذا الأمر العظيم . وأما أهل الجاهلية - كما سبق - لا يرون انعقاد ولاية ، ولا يرون سمعا ولا طاعة ، ومثلهم الأمم الكافرة الآن ، الذين يقولون بالحريات والديمقراطيات ، ماذا تكون مجتمعاتهم الآن ؟ همجية ، بهيمية ، قتل وسلب وفساد أعراض ، وشر واضطراب أمن ، وهم دول كبرى ، وعندهم أسلحة ، وعندهم مدمرات ، لكن حالتهم حالة بهيمية - والعياذ بالله - لأنهم باقون على ما كانت عليه الجاهلية .

وأمر النبي ﷺ بالسمع والطاعة لهم ، وأمر بالنصيحة لهم سرا ، بينهم وبين الناصح . وأما الكلام فيهم وسبهم واغتيابهم ؛ فهذا من الغش لهم ؛ لأنه يؤلب الناس عليهم ويفرح أهل الشر ، وهذا من الخيانة لولاة الأمور . أما الدعاء لهم وعدم ذكر معايبهم في المجالس ، فهو من النصيحة لهم ، ومن كان يريد أن ينصح الإمام فإنه يوصل النصيحة إليه في نفسه ،

....

إما مشافهة ، وإما كتابة ، وإما بأن يوصى له من يتصل به ويبلغه عن هذا الشيء ؛ وإذا لم يتمكن فهو معذور .

أما أنه يجلس في المجالس أو على المنابر أو أمام أشرطة ويسب ولاة الأمور ويعيبهم ، فهذا ليس من النصيحة ، وإنما هو من الخيانة لولاة الأمور ، والنصيحة لهم تشمل الدعاء لهم بالصلاح ، وتشمل ستر عيوبهم وعدم إفشائها على الناس ، وكذلك من النصيحة لهم : القيام بالأعمال التي يكلونها إلى الموظفين ، ويعهدون بها إلى الولاة في القيام بها ، هذا من النصيحة لولاة الأمور .

ثم قال الشيخ - رحمه الله - :

وهذه الثلاث هي التي جمع بينها فيما صح عنه في أنه قال : ﴿ إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ﴾ (١) (٢) ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الصفات أو ببعضها .

يقول الشيخ - رحمه الله - : وقد جمع النبي ﷺ هذه المسائل الثلاث ، يعني : التي تقدم ذكرها ، وهي :

المسألة الأولى : أن أهل الجاهلية كانوا يعبدون الأولياء والصالحين ، ويقولون : ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ (٣) .

والمسألة الثانية : أن أهل الجاهلية كانوا متفرقين في دينهم ودنياهم .

والمسألة الثالثة : أنهم لا يخضعون لولي الأمر ، ويرون ذلك ذلة ومهانة . هذه المسائل الثلاث جمعها رسول الله ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب في كلمة

---

(١) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٣٦٧/٢) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .

(٢) تقدم في ص ٤٧ .

(٣) سورة يونس آية : ١٨ .

....

واحدة ، وذلك في قوله ﷺ : ﴿ إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ﴾ [(١)] [(٢)] .

الأولى : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، ويدخل في الشرك عبادة الأولياء والصالحين .

الثانية : أن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، عكس ما كان عليه أهل الجاهلية من أنم كانوا متفرقين في دينهم ودنياهم ، وحبل الله هو القرآن ، والاعتصام به هو أن تتمسكوا به ، فتعملوا بما أمركم به ، وتجتنبوا ما ناكم عنه ؛ لأن القرآن هو المنهج الرباني الكفيل بمصالح العباد في دينهم ودنياهم ، فالتمسك به رحمة ، وعدم التمسك به عذاب وشقاء .

الثالثة : أن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، وهذا بخلاف ما كان عليه أهل الجاهلية الذين لا ينقادون لولي الأمر ، وهذا فيه الأمر بالانقياد لولي الأمر ، ومناصحته وطاعته ، وعدم الخروج عليه ، وعدم الكلام فيه أمام الناس وذكر عيوبه ونشر عيوبه بين الناس ؛ لأن هذا من الخيانة لولي الأمر ، ليس هذا من النصيحة ، وإن كان بعض الناس يزعم أن هذه نصيحة ، فهذه ليست نصيحة ، وإنما هذا تشهير وشر ، وإلقاء للعداوة بين الوالي والرعية ، وليس فيه مصلحة أبدا ، بل هو مضرة محضة .

ثم بين - رحمه الله - أن الخلل الذي يقع في دين الناس ودنياهم ، إنما سببه الإخلال بذه الثلاث أو الإخلال ببعضها ، وهو الشرك بالله ، والتفرق ، والخروج على ولي الأمر .

---

(١) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٢/٣٦٧) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .

(٢) تقدم في ص ٤٧ .

المسألة الرابعة : التقليد الأعمى ومضاره

(إن دينهم مبني على أصول : أعظمها التقليد ، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار ، أولهم وآخرهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ (١) **، وقال تعالى :** ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٢) **، فأتاهم بقوله :** ﴿ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ ﴾ (٣) **. . . الآية ، وقوله :** ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤) **.**

الشـرح

من مسائل الجاهلية : أنهم لا يبنون دينهم على ما جاءت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وإنما يبنون دينهم على أصول أحدثوها هم من عند أنفسهم ، ولا يقبلون التحول عنها ، منها : التقليد ، وهو المحاكاة ، بأن يقلد بعضهم بعضا ، وإن كان المقلد لا يصلح للقدوة ، كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ (٥) .

ومترفوها هم : أهل الرفاهية والمال في الغالب ؛ لأنهم أهل الشر وعدم قبول الحق ، خلاف الضعفاء والفقراء فإن الغالب عليهم التواضع وقبول الحق . فأهل الترف هم

---

(١) سورة الزخرف آية : ٢٣ .
(٢) سورة لقمان آية : ٢١ .
(٣) سورة سبأ آية : ٤٦ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٣ .
(٥) سورة الزخرف آية : ٢٣ .

....

أصحاب الجاه وأصحاب المال ﴿ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ ﴾ (١) أي أصحاب المال والجاه فيهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ (٢) أي : على ملة ودين ، وإنا متبعون لهم على دينهم ، يعني : لسنا بحاجة إليكم أيها الرسل ، يزعمون أن هذا يغنيهم عن اتباع الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فهذا هو التقليد الأعمى ، وهو من أمور الجاهلية .

أما التقليد في الخير فهذا يسمى اتباعا واقتداء ، قال تعالى عن يوسف - عليه السلام - : ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ (٤) .

ولهذا قال الله تعالى في أهل الجاهلية : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ (٥) فالذي لا يعقل ولا يهتدي ليس محلا للقدوة ، إنما القدوة فيمن يعقل ويهتدي ، فالتقليد الأعمى من أمور الجاهلية ، وهذا يسمى بالتعصب ؛ لأن القدوة هو رسول الله ﷺ ومن اتبعه .

ثم قال الشيخ - رحمه الله - : وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ (٦) .

وإذا قيل للمشركين والكافرين : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (٧) وهو القرآن ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ

---

(١) سورة الزخرف آية : ٢٣ .
(٢) سورة الزخرف آية : ٢٣ .
(٣) سورة يوسف آية : ٣٨ .
(٤) سورة التوبة آية : ١٠٠ .
(٥) سورة البقرة آية : ١٧٠ .
(٦) سورة لقمان آية : ٢١ .
(٧) سورة البقرة آية : ١٧٠ .

....

﴿ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [1] أي يدعو هؤلاء الآباء ﴿ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [2] أتتبعونهم للسعير ؟ يعني : تقتدون بآبائكم وإن كانوا من أتباع الشيطان ، ومآلهم إلى السعير ؟ العاقل يجب أنه ينظر في أمره ، وفيمن يقلد .

ثم قال الشيخ - رحمه الله - : فأتاهم بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [4] .

أي : أتاهم رسول الله ﷺ بهذه الآية ، فهم يقولون : نحن نتمسك بما عليه آباؤنا ، ولا نطيع هذا الرجل ، يعنون محمدا ﷺ .

والله - جل وعلا - يقول : انظروا وتفكروا فيما قال لكم هذا الرجل ، تفكروا ، ولا تأخذكم العصبية ، ﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ [5] جماعات وفرادى ، تنظرون فيما دعاكم إليه محمد ﷺ فإن كان حقا وجب عليكم اتباعه ، ولا يجوز لكم البقاء على ما كان عليه الآباء والأجداد . ﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ ﴾ [6] يعني : لا للهوى والعصبية ؛ بل يكون قيامكم لله ، تريدون الحق ﴿ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ [7] اثنين اثنين ، يفكرون ويجتمعون ، ويعقدون جلسة ؛ لأن تعاون الجالسين أو الجماعة فيه رجاء الوصول إلى الحق ، أو فرادى ، أن يخلو بنفسه ويفكر ، ويتأمل ما جاء به الرسول ﷺ وسيجد أنه حق

---

(١) سورة لقمان آية : ٢١ .
(٢) سورة الحج آية : ٤ .
(٣) سورة سبأ آية : ٤٦ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٣ .
(٥) سورة سبأ آية : ٤٦ .
(٦) سورة سبأ آية : ٤٦ .
(٧) سورة سبأ آية : ٤٦ .

....

فيجب عليه اتباعه ، ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم ﴾ (١) يعني محمدا ﷺ الذي تقولون : إنه مجنون ، وهو ليس به جنون ؛ بل هو أعقل الرجال وأعقل الخلق ﷺ وأنصح الخلق وأعلم الخلق ، - عليه الصلاة والسلام - فكيف تقولون : إنه مجنون ؟ فكروا ، انظروا في عقله ، انظروا في تصرفاته ، هل هي مثل تصرف المجنون ؟ ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٢) إن لم تؤمنوا به وتتبعوه ، فإنه سيحل بكم العذاب الشديد ، فهو جاءكم ناصحا لكم ، يريد لكم الخير ، ويريد لكم النجاة ، ويريد لكم الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة ، فكيف تصفونه بهذا الوصف ، تقولون إنه مجنون ، بدون روية وبدون تفكر وبدون تأمل لما جاء به ؟

وهكذا يجب على كل عاقل أن ينظر في أقوال الناس ، فيميزها ويفحصها ، ويرى الخطأ من الصواب ، فيقبل الحق ويرد الخطأ ، ولا يحمله التقليد الأعمى على البقاء على الباطل .

---

(١) سورة سبأ آية : ٤٦ .

(٢) سورة سبأ آية : ٤٦ .

المسألة الخامسة : الاحتجاج بما عليه الأكثر دون نظر إلى مستنده

(إن من أكبر قواعدهم : الاغترار بالأكثر ، ويحتجون به على صحة الشيء ، ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله ، فأتاهم بضد ذلك ، وأوضحه في غير موضع من القرآن) .

الشـرح

من مسائل الجاهلية : أنم يستدلون بالأكثرين على الحق ، ويستدلون بالأقلين على غير الحق ، فما كان عليه الأكثر عندهم فهو الحق ، وما كان عليه الأقل فهو غير حق ، هذا هو الميزان عندهم في معرفة الحق من الباطل . وهذا خطأ ؛ لأن الله - جل وعلا - يقول : ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [1] ، ويقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [2] ، ويقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴾ [3] ، إلى غير ذلك . فالميزان ليس هو الكثرة والقلة ؛ بل الميزان هو الحق ، فمن كان على الحق - وإن كان واحدا - فإنه هو المصيب ، وهو الذي يجب الاقتداء به ، وإذا كانت الكثرة على باطل فإنه يجب رفضها وعدم الاغترار بها ، فالعبرة بالحق ، ولذلك يقول العلماء : الحق لا يعرف بالرجال ، وإنما يعرف الرجال بالحق . فمن كان على الحق فهو الذي يجب الاقتداء به .

والله - جل وعلا فيما قص عن الأمم - أخبر أن القلة قد يكونون على الحق ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [4] وفي الحديث - الذي عرضت فيه الأمم

(١) سورة الأنعام آية : ١١٦ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٧ .
(٣) سورة الأعراف آية : ١٠٢ .
(٤) سورة هود آية : ٤٠ .

على النبي ﷺ - رأى النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل ، والنبي والرجلان ، والنبي وليس معه أحد . فليست العبرة بكثرة الأتباع على المذهب أو على القول ، وإنما العبرة بكونه حقا أو باطلا ، فما كان حقا - وإن كان عليه أقل الناس ، أو لو لم يكن عليه أحد ، ما دام أنه حق - يتمسك به فإنه هو النجاة . والباطل لا يؤيده كثرة الناس أبدا ، هذا ميزان يجب أن يتخذه المسلم دائما معه .

والنبي ﷺ يقول : ﴿ بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ﴾ (١) (٢) وذلك حين يكثر الشر والفتن والضلال ، فلا يبقى على الحق إلا غرباء من الناس ونزاع من القبائل ، ويصبحون غرباء في المجتمع البشري ، والرسول ﷺ بعث والعالم كله يموج في الكفر والضلال ، ودعاء الناس ، فاستجاب له الرجل والرجلان ، إلى أن تكاثروا . وكانت قريش - وكانت الجزيرة كلها ، وكان العالم كله - على الضلال . والرسول ﷺ وحده يدعو الناس ، والذين اتبعوه قليل بالنسبة للعالم .

فالعبرة ليست بالكثرة ، العبرة بالصواب وإصابة الحق . نعم ، إذا كانت الكثرة على صواب فهذا طيب ، ولكن سنة الله - جل وعلا - أن الكثرة تكون على الباطل ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٣) ، ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ (٤) .

---

(١) مسلم الإيمان (١٤٦) .
(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٤٦) .
(٣) سورة يوسف آية : ١٠٣ .
(٤) سورة الأنعام آية : ١١٦ .

المسألة السادسة : الاحتجاج بما عليه الأقدمون دون نظر إلى مستنده

(الاحتجاج بالمتقدمين ، كقوله : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ۝٥١ ﴾ [1] ، **وقوله :** ﴿ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٢٤ ﴾ [2] **) .**

الشـرح

أي : إذا جاءتم الرسل بالحق احتجوا بآبائهم ، فإن موسى - عليه السلام - لما دعا فرعون إلى الإيمان احتج فرعون بما عليه الأولون ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ۝٥١ ﴾ [3] يريد أن يحتج بما عليه القرون الأولى التي سبقته من الكفرة ، وهذه حجة باطلة ، وهي حجة جاهلية . وكما قال قوم نوح لما دعاهم إلى الله ، قالوا : ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٢٤ ﴾ [4] فقابلوا دعوة نبي الله نوح بما عليه آباؤهم على أنه حق ، وأن ما جاء به نوح باطل ؛ لأنه مخالف لما عليه آباؤهم .

وكفار قريش يقولون : ﴿ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧ ﴾ [5] أي : ﴿ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا ﴾ [6] الذي جاء به محمد ﷺ ﴿ فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [7] ملة آبائهم وأجدادهم ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧ ﴾ [8] كذب ، فهم وصفوا ما جاء به الرسول ﷺ بأنه كذب ، لماذا ؟ لأنه مخالف لما عليه آباؤهم ، وهو عبادة الأوثان ، ولم

(١) سورة طه آية : ٥١ .
(٢) سورة المؤمنون آية : ٢٤ .
(٣) سورة طه آية : ٥١ .
(٤) سورة المؤمنون آية : ٢٤ .
(٥) سورة ص آية : ٧ .
(٦) سورة ص آية : ٧ .
(٧) سورة ص آية : ٧ .
(٨) سورة ص آية : ٧ .

....

يرجعوا إلى دين أبيهم إبراهيم وإسماعيل ؛ بل رجعوا إلى ما كان عليه آباؤهم قريبا ، وهم آباؤهم وأجدادهم في مكة من كفار قريش ، فهذه سنة الكفار ، وهذه سنة الجاهلية ؛ أن يحتجوا بمن سبقهم من الأمم .

والواجب على العقلاء أن ينظروا ما مع الرسل ، ويقارنوا بينه وبين ما عليه آباؤهم ؛ ليتضح لهم الحق من الباطل ، أما إغلاق الباب على أنفسهم ، يقولون : ما نقبل إلا ما عليه آباؤنا ، ولا نقبل ما يخالفه ، فهذا ليس من شأن العقلاء فضلا عن الذين يريدون النجاة لأنفسهم .

والآن عباد القبور إذا نهوا عن عبادة القبور ، قالوا : هذا عليه البلد الفلاني ، وعليه الجماعة الفلانية ، وعليه قرون مضت . وأصحاب الموالد إذا نُهوا ، وقيل لهم : هذه بدعة . قالوا : هذا شيء معمول به قبلنا ، ولو كان باطلا ما عملوه .

وهذا احتجاج أهل الجاهلية ، فليس العبرة بما عليه الناس ، وإنما العبرة بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الناس يخطئون ويصيبون ، لكن ما جاء به الرسول ﷺ فهو صواب قطعا ، والواجب اتباعه ، والله لم يكلنا إلى آبائنا وأجدادنا ، ولو كان الذي عند الآباء والأجداد يكفي ما احتجنا إلى الرسل .

وهكذا الصوفية ، يقولون : أحوالنا تكفي عن اتباع الرسول ، ولنا أحوال ، ولنا اتصال مع الله ، ونأخذ عن الله مباشرة ، وأهل السنة يأخذون دينهم عن أموات - يعنون رجال السند - ، أما نحن فنأخذ ديننا عن الحي الذي لا يموت ، ويقولون : الرسل إنما يحتاجهم العوام ، أما الخواص فهؤلاء ليسوا بحاجة إلى الرسل ؛ لأنهم وصلوا إلى الله ، وعرفوا ، وليسوا بحاجة إلى الرسل ، هكذا يقول لهم الشيطان ، ويقول : إن أصحاب الطرق لا يحتاجون للرسل ؛ لأنهم يأخذون عن الله مباشرة ، وهذا من دين الجاهلية ، والوقائع كثيرة من هذا النوع .

المسألة السابعة : الاستدلال بما عليه أهل القوة بأنه هو الحق

(الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال ، وفي الملك والمال والجاه ، فرد الله ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾ [(١)] **، وقوله :** ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ [(٢)] **، وقوله :** ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [(٣)] **) .**

الشـرح

من مسائل الجاهلية : أنهم يستدلون أن ما كان عليه الأقوياء من الناس وأصحاب الجاه وأصحاب الذكاء ، أنه هو الحق ، فهذا هو الضابط عندهم لمعرفة الحق ؛ أنهم ينظرون في الناس ، فما كان عليه أهل القوة والمال والترف والجاه اعتبروه هو الحق ، وما كان عليه الضعفاء والفقراء يعتبرونه باطلا . هذه حالة أهل الجاهلية .

وهذا الضابط باطل ، فإن الله ﷻ أخبر عن الأمم السابقة الكافرة أنها كانت على قوة ، وأنها كانت على ثروة ، في آيات كثيرة ، وأنهم أهل جاه ، وعندهم ذكاء وأفهام ، لكن ما نفعهم ذلك ، بل كانوا على الباطل ، وقد ذكر الله هذا في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ ﴾ [(٤)] ، فقال تعالى ردا عليهم : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [(٥)] ، وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى

---

(١) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .
(٢) سورة البقرة آية : ٨٩ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٤٦ .
(٤) سورة مريم آية : ٧٣ .
(٥) سورة مريم آية : ٧٤ .

....

ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [3] .

فهذه الآيات وأمثالها تدل على أن العبرة ليست بالقوة والمال ، إذا كان أهل ذلك على ضلال ، فإن هذه القوة ، وهذا المال ، وهذا الثراء لا ينفعهم .

وبين سبحانه أنه يعطي الكفار من أجل استدراجهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ [5] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [6] .

فالله يعطيهم هذه الثروة ويمكنهم في الأرض ويعطيهم الملك والسلطة ، ويمكنهم من المخترعات والصناعات ، كما عليه الكفار في هذا الوقت ، وهذا لا يدل أن ما هم عليه حق ، ولا يدل على أن الله راض عنهم في إعطائه لهم ، وإنما هذا من باب الاستدراج لهم والإملاء ؛ ليزدادوا إثما ، إنما يستدل بذا الدليل أهل الجاهلية ، أما أهل البصيرة فإنم

---

(١) سورة فاطر آية : ٤٤ .
(٢) سورة ق آية : ٣٦ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٦ .
(٤) سورة الأنعام الآيتان : ٤٤ - ٤٥ .
(٥) سورة القلم الآيتان : ٤٤ - ٤٥ .
(٦) سورة آل عمران آية : ١٧٨ .

....

ينظرون إلى ما عليه الأمم ، فإن كان حقا قبلوه وإن كانوا فقراء ، وإن كان باطلا ردوه وإن كانوا أغنياء .

والآيات في هذا كثيرة ، منها ما ذكره الشيخ هنا ، وهو قول الله تعالى لما ذكر هلاك قوم عاد : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم ﴾ [1] ، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ ﴾ [2] أي : قبيلة إرم ، أو البلد الذي كانت تسكنه ، يسمى إرما ﴿ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ ﴾ [3] ينحتون الجبال وينقشونها ، ويجعلونها مساكن لهم ، وهي موجودة إلى الآن ، على طريق القوافل إلى الشام ﴿ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥٨ ﴾ [4] ، ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ ﴾ [5] .

فهؤلاء أعطاهم الله من القوة الشيء العظيم ، وهم كفار ، ولما جاءهم أنبياؤهم اغتروا بما عندهم من القوة ، ومن الثروة ، ومن الأبهة ، فتكبروا على الرسل ، وبقوا على شركهم ، ولم يقبلوا الحق ؛ غرورا بما هم عليه من القوة ، حتى إن الله ذكر عن عاد أنهم اغتروا بقوتهم ﴿ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ ﴾ [6] .

---

(١) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .
(٢) سورة الفجر الآيات : ٦ - ٨ .
(٣) سورة الفجر الآيات : ٧ - ٩ .
(٤) سورة القصص آية : ٥٨ .
(٥) سورة النمل آية : ٥٢ .
(٦) سورة فصلت آية : ١٥ .

....

وأما الاستدلال بالفهم ، فبنو إسرائيل ، اليهود ، أعطاهم الله فهما وعلما ، وكانوا يعرفون من صفات النبي ﷺ الذي سيبعث في آخر الزمان ، بما عندهم في التوراة والإنجيل ، وأنه سيبعث نبي هو خاتم الأنبياء ، وأن صفاته كذا وكذا ، وكان بينهم وبين العرب في المدينة - من الأوس والخزرج - حروب ، ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [1] يقولون : سيبعث النبي الذي في آخر الزمان ، ونتبعه ، ونقتلكم معه ، ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [2] أي : لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وكان من بني إسماعيل ، حسدوه ؛ لأنهم يريدون أن تكون النبوة في بني إسرائيل ، ويحتجزونا لأنفسهم ، فلما كانت في بني إسماعيل ، حسدوا رسول الله ﷺ وهم يعرفون أنه رسول الله ، ما نفعهم فهمهم ومعرفتهم .

فما كل من عرف الحق يعمل به ، فقد يصرفه صارف : إما الحسد ، وإما الكبر ، وإما الطمع في الدنيا ، أو الطمع في الرياسة ، هناك صوارف تصرف الإنسان عن الحق وهو يعرفه .

فالهداية والتوفيق من الله سبحانه وتعالى ، ليست عن المعرفة وعن العلم والفهم ، فالأمر راجع إلى الله سبحانه وتعالى ؛ ولهذا كان الرسول ﷺ يكثر من قول : ﴿ يا مقلب القلوب والأبصار ، ثبت قلبي على دينك ﴾ [3] [4] فمجرد المعرفة والعلم والفهم والفقه ، كلها أسباب جيدة ، لكن لا تكفي ، فهذا مما يعطي المؤمن الحذر ، وعدم الاغترار بعلمه ، وعدم الاغترار بفهمه ، وأن يسأل ربه الثبات على الحق والهداية للصواب دائما

---

(١) سورة البقرة آية : ٨٩ .

(٢) سورة البقرة آية : ٨٩ .

(٣) الترمذي القدر (٢١٤٠) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٣٤) .

(٤) أخرجه الترمذي (٥٧٣/٥ رقم٣٥٩٦) والحاكم (٢١١/٢ رقم ١٩٧٠) ، وابن ماجه (١٣٢/١ رقم١٩٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٩٨٧ ، ٧٩٨٨) .

....

وأبدا ، كما أنه لا يغتر بالقوة ، ويقال : هذه دولة قوية ، ما يمكن أن يتغلب عليها أحد ؛ لأنا دولة قوية محصنة بالأسلحة والذخيرة الفتاكة والقنابل الذرية ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [1] .

فهذه مسألة عظيمة ، يغفل عنها كثير من الناس ، ويحتج بالقوة والثروة والجاه والأبة ، ويقولون : هذه أمة راقية ، مما يدل أنا على حق ، وما توصلت إلى هذا المستوى إلا وهي على حق ؛ لأن عندهم حضارة ، وعندهم ثقافة وفهم ، وهكذا يقول بعض المغرورين ، دون نظر إلى ما هم عليه من الكفر .

ويرى أن المسلمين ليسوا على حق لما فيهم من الضعف المادي والصناعي ولا يدري أن هذا لتقصير المسلمين لا لقصور في دينهم .

---

(١) سورة التوبة آية : ٢٥ .

المسألة الثامنة : الاستدلال بأن ما عليه الضعفاء ليس حقا

(الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء ، كقوله : ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [(١)] **وقوله :** ﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ [(٢)] **، فرد الله بقوله :** ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [(٣)] **) .**

الشـرح

هذه المسألة عكس التي قبلها - وهي الاستدلال بالقوة على أن أصحابها على الحق - وفي هذه المسالة يستدلون بالضعف على أن الضعفاء ليسوا على الحق ، لو كانوا على حق ما صاروا ضعفاء ، هذا ميزان أهل الجاهلية ، في معرفة الحق من الباطل ، ولا يعلمون أن القوة والضعف بيد الله سبحانه وتعالى ، وأن الضعيف قد يكون على الحق وهو ضعيف ، وأن القوي قد يكون على الباطل ، وهذا منطق قوم نوح لما دعاهم إلى الله ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [(٤)] يعني الضعفاء منا ، فلو كنت على حق لاتبعك الأقوياء ، وفي الآية الأخرى : ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ [(٥)] أي : الذين ليس عندهم رأي ، اتبعوك من غير روية ومن غير تفكير .

وكذلك المشركون في عهد رسول الله ﷺ كانوا يسخرون من ضعفاء المؤمنين ، من بلال وسلمان وعمار بن ياسر وأبيه وأمه ، ويسخرون من ضعفاء الصحابة ، حتى إنهم قالوا : ما نجلس معك وهؤلاء عندك ، اجعل لنا مجلسا غير مجلسهم حتى نتفاهم معك ، فالنبي ﷺ - من حرصه على هدايتهم - أراد أن يجعل لهم مجلسا خاصا ، فعاتبه الله ﷻ

---

(١) سورة الشعراء آية : ١١١ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٥٣ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٥٣ .
(٤) سورة الشعراء آية : ١١١ .
(٥) سورة هود آية : ٢٧ .

....

بقوله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ ﴾ [1] .

وقوله : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ ﴾ [2] هؤلاء : يعنون ضعفاء الصحابة ، لا يمكن أن يسبقونا إلى الخير ﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ ﴾ [3] ، ومثلهم الآن الذين يصفون العلماء بأنهم ما عندهم رأي ولا تفكير ، وأن نظرهم قريب ، وعندهم تحجر ، وعندهم شدة ، إلى آخر ما يقولون .

والشيخ ما كتب هذه المسائل للتاريخ ، وإنما كتبها للتحذير ، بأن يحذر هذه الأمور ؛ لأنها من أمور الجاهلية .

---

(١) سورة الأنعام الآيتان : ٥٢ - ٥٣ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٥٣ .
(٣) سورة الأحقاف آية : ١١ .

المسألة التاسعة : اقتداؤهم بفسقة العلماء وجهال العباد

(اقتداؤهم بفسقة العلماء وجهال العباد ، فأتى بقوله : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾ (١) **، وقوله :** ﴿ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٢) **) .**

الشـرح

من مسائل الجاهلية : الاستدلال بفسقة العلماء ، والفاسق هو : الخارج عن طاعة الله في علمه وعمله ، وفسقة العلماء هم : الذين لا يعملون بعلمهم ، أو يقولون على الله الكذب وهم يعلمون ، بأن يقولوا : هذا حلال وهذا حرام ، وهم يعلمون أنم كاذبون ؛ من أجل الوصول إلى رغباتم واتباع الأهواء ، تحت مظلة أنم علماء ، والناس يثقون فيهم ، وفسقة العباد هم الذين يعملون بغير علم ، والناس يثقون فيهم ، يقولون : هؤلاء صالحون .

فلا يغتر بالعالم ولا بالعابد حتى يكون كل منهما مستقيما على دين الله ﷻ قال الله سبحانه وتعالى في اليهود والنصارى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾ (٣) ، ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (٤) ذلك بأن حللوا لهم الحرام فأطاعوهم ، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم ، فصاروا بذلك أربابا من دون الله - والعياذ بالله - ؛ لأن التحليل والتحريم حق لله جل وعلا ، ليس لأحد أن يحرم أو يحلل حسب هواه وحسب

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٤ .
(٢) سورة المائدة آية : ٧٧ .
(٣) سورة التوبة آية : ٣٤ .
(٤) سورة التوبة آية : ٣١ .

....

أغراضه ، ويرضي الناس ويساير الناس ، والآن هناك ناس يتحايلون على الشرع ، يحلون المحرمات لأجل مسايرة الناس وإرضاء الناس - بزعمهم - يلتمسون الحيل ، ويلتمسون الرخص ، أو الكذب على الله ، بأن الله أحل هذا ، أو حرم هذا ؛ من أجل مصلحة فلان .

هؤلاء هم فسقة العلماء ، والفاسق هو : الخارج عن طاعة الله ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ ﴾ [(١)] وهذا نداء للمؤمنين للتحذير ، والأحبار هم العلماء ، وغالبا يطلق على علماء اليهود ، والرهبان هم العباد ، وهذا في الغالب يطلق على عباد النصارى ، فالرهبنة في النصارى ، والعلم في اليهود ، لكن اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضالون ، والله جل وعلا أمرنا في كل ركعة في الصلاة أن نقول : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [(٢)] وهم أهل العلم والعمل ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [(٣)] ، وهم أهل العلم بدون عمل ، وهم فسقة العلماء ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ [(٤)] الرهبان من النصارى وغيرهم ، الذين يعبدون الله على غير دليل ، على غير برهان ، وإنما يعبدون الله بالبدع والمحدثات والخرافات ، والله نهانا عن العلماء الفسقة ، والعباد الضالين ، وأمرنا أن نأخذ الحق بدليله ، من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

والآن إذا صار للواحد رغبة في شيء ، قال : هذا أفتى به فلان ، دون نظر إلى مستنده من الكتاب والسنة ، تقول له : هذه الفتوى خطأ . يقول : ما علي ، ما دام قد أفتى به فلان .

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٤ .
(٢) سورة الفاتحة الآيتان : ٦ - ٧ .
(٣) سورة الفاتحة آية : ٧ .
(٤) سورة الفاتحة آية : ٧ .

....

وإذا صارت الفتوى لا توافق هواه ، قال : هذه الفتوى ليست صحيحة أو متشددة . وصاروا يجمعون ترهات وأخطاء العلماء ويجعلونا في كتاب ، يظهرونه للناس ، من باب التوسعة على الناس - بزعمهم - ويقولون : دين الإسلام سمح ، لا تضيقوا على الناس ، وإذا قيل لهم : اعرضوها على الكتاب والسنة ، قالوا : هذا كلام العلماء . وهل العالم أكبر من الكتاب والسنة ، فلا يعرض قوله على الكتاب والسنة ؟ !

هذا إنما يفعله أهل الأهواء - والعياذ بالله - الذين ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (1) وإذا نهوا عن البدعة التي حذر منها الرسول ﷺ قالوا : هذه يعمل با فلان ، وهو عالم ، أو صالح ، ويعمل با أهل البلد الفلاني ، وهم عندهم صلاح وتقوى ، ونقول : الصلاح والتقوى لا يكفيان ، لا بد من موافقة الكتاب والسنة .

فأخذ أقوال العلماء والعباد قضية مسلمة دون عرض على الكتاب والسنة ، هي طريقة أهل الجاهلية ، الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانم أربابا من دون الله .

(1) سورة التوبة آية : 31 .

المسألة العاشرة : رميهم أهل الدين بقلة فهمهم وعدم حفظهم

(الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم ، كقولهم : ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ [(١)] **) .**

الشــرح

مما ذكره الله عن قوم نوح قولهم : ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا ﴾ [(٢)] أي : الضعفاء ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ [(٣)] أي : الذين ليس عندهم فهم . فيعيرون أتباع الرسل بأن ما عندهم فهم ولا حذق للأمور ، ولا عندهم بعد نظر .

وهذا ما يتبجح به كثير من الفسقة وأعداء الله اليوم ، يتندرون من المسلمين ومن علماء المسلمين ، بأنهم ما عندهم فهم ولا بعد نظر ، ويتنقصونهم بهذه الفرية ، مع أن علماء المسلمين هم أهل البصيرة ، وهم أهل المعرفة ؛ لأنهم ينظرون بنور الله ﷻ ويأمرون بأمر الله ، وينهون عما نهى الله عنه .

ولا شك أن العلماء العاملين هم أفضل الناس بعد الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، فلا يتنقص العلماء ويتهمهم بقصر النظر وعدم الفهم إلا من هو شبيه بأهل الجاهلية ، وبقوم نوح الذين يصفون أتباع الرسل بهذا الوصف ؛ لينفروا الناس عنهم ، وهذا يأتي على ألسنة بعض الناس اليوم ، يقولون : هؤلاء العلماء علماء حيض ونفاس ، وعلماء أحكام الاستجمار ، وعلماء جزئيات ، ولا يعرفون فقه الواقع ، وفقه الواقع عندهم أمور السياسة والثورة على الولاة .

---

(١) سورة هود آية : ٢٧ .
(٢) سورة هود آية : ٢٧ .
(٣) سورة هود آية : ٢٧ .

المسألتان الحادية والثانية عشرة
اعتمادهم على القياس الفاسد وإنكار القياس الصحيح

(الاستدلال بالقياس الفاسد ، كقولهم : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [1] **.**

إنكار القياس الصحيح :

والجامع لهذا وما قبله : عدم فهم الجامع والفارق) .

الشـرح

المسألة الحادية والثانية عشرة : اعتمادهم على القياس الفاسد وإنكار القياس الصحيح .

والقياس عند الأصوليين نوعان : قياس علة وهو : إلحاق فرع بأصل في الحكم لجامع بينهما ، فإن اختل شرط من شروطه فهو قياس فاسد ، لا يعتمد عليه في إثبات حكم من الأحكام ، وهذه مسألة خطيرة ، يقول ابن القيم : أكثر ضلال الناس إنما هو بسبب القياس الفاسد ، وأول من مارس القياس الفاسد إبليس ، لما أمره الله بالسجود لآدم ﴿ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [2] يزعم أن النار خير من الطين ، فيكون هو خيرا من آدم . وهذا قياس فاسد ؛ لأن النار ليست خيرا من الطين ، بل الطين خير من النار ؛ لأن النار محرقة متلفة للأشياء ، أما الطين فهو ينبت الأشياء والبذور ، وفيه خير للناس ، فلو ذهبنا إلى القياس لقلنا : الطين خير من النار ، مع أن الاعتماد ليس هو على القياس ، بل الاعتماد على اختيار الله سبحانه وتعالى وتفضيله ، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويختار ، لا اعتراض عليه ، وله الحكمة البالغة ، سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة إبراهيم آية : ١٠ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٢ .

....

كذلك المشركون قاسوا هذا القياس لما كذبوا الرسل ، قالوا : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [1] استدلوا ببشريتهم على عدم صحة رسالتهم ؛ لأن الرسالة لا تصح في البشر بزعمهم ، وهذا قياس باطل ؛ لأنه قياس مع الفارق ؛ لأن الرسل فضلهم الله على غيرهم ، واصطفاهم واختارهم ، وهو أعلم - سبحانه وتعالى - بحالهم وصلاحهم للرسالة ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ ﴾ [2] ، ولهذا لما قالوا لرسلهم : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ ﴾ [3] .

تقول الرسل : الله فضلنا بأنه من علينا واختارنا للرسالة ، فقياسكم قياس مع الفارق ؛ لأن البشر لا يستوون ، وليسوا على حد سواء ، منهم المؤمن ومنهم الكافر ، ومنهم الرسل والعلماء والصالحون ، ومنهم الجهال والكفار والفساق ، فالبشر يتفاوتون ، فهناك فارق ، والقياس مع الفارق يكون باطلا ؛ لأن هذا من قوادح القياس عند الأصوليين .

بل القياس الصحيح يقتضي أن يكون الرسول إلى البشر بشرا مثلهم ؛ من أجل أن يبين لهم ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [4] ، فالرسول يكون من جنس المرسل إليهم ؛ من أجل تبليغ الرسالة ، والحكمة تقتضي أن يكون رسول البشر من البشر ، ولو كان الذين يعيشون على وجه الأرض ملائكة ، لأرسل إليهم من جنسهم ملكا .

---

(١) سورة إبراهيم آية : ١٠ .
(٢) سورة الحج الآيتان : ٧٥ - ٧٦ .
(٣) سورة إبراهيم الآيتان : ١٠ - ١١ .
(٤) سورة الإسراء آية : ٩٥ .

ومن عجائب انتكاس هؤلاء : أنهم يستبعدون الرسالة في البشر ، ولا يستبعدون أن تكون العبودية للحجر ! فلا يستبعدون أن تكون الربوبية والإلهية للأحجار والأشجار ، ومع هذا يستبعدون ويستنكرون أن تكون الرسالة في البشر ، وهذا القياس الباطل عليه سائر أئمة الكفرة من قوم نوح وغيرهم ، ينكرون رسالة الرسل ؛ لأنهم بشر ، فقوم نوح قالوا : ﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [(١)] ، كذلك غيرهم ، فقريش قالوا في حق محمد ﷺ : ﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ [(٢)] ، فهذه قاعدة مطردة عند الكفار ، وهي القياس الفاسد .

والنوع الثاني من القياس : قياس الشبه وهو أن يتردد الفرع بين أصلين فيلحق بأكثرهما شبها - والله جل وعلا لا يقاس بخلقه لا قياس علة ولا قياس شبه يستوي أفراده ، وإنما يستعمل في حقه سبحانه قياس الأولى وهو أن يقال : كل كمال ثبت للمخلوق لا يستلزم نقصا فالخالق أولى به ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [(٤)] .

والمسألة التي بعدها ، وهي :

وأنكروا القياس الصحيح وهو : أن يكون الرسل إلى البشر بشرا مثلهم ، وأن يكون الرسل إلى الملائكة من الملائكة ، هذا هو القياس الصحيح ، الذي تقتضيه الحكمة والفطر السليمة ؛ أن المرسل يكون من جنس المرسل إليهم ، لا من جنس آخر .

والذي حملهم على هاتين المسألتين هو الجهل بالجامع والفارق ، الجامع الذي يبنى عليه القياس ، والفارق الذي لا يصح معه القياس .

(١) سورة المؤمنون الآيتان : ٢٤ - ٢٥ .
(٢) سورة القمر آية : ٢٥ .
(٣) سورة النحل آية : ٦٠ .
(٤) سورة النحل آية : ٧٤ .

المسألة الثالثة عشرة : الغلو بأهل العلم والصلاح

(الغلو في العلماء والصالحين ، كقوله : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [1] **) .**

الشـرح

وهذه مسألة خطيرة ، والغلو معناه في اللغة : الزيادة عن الحد ، يقال : غلا القدر ، إذا ارتفع فيه الماء بسبب الغليان ، ويقال : غلا السعر ، إذا ارتفع عن الحد المعروف . فالغلو هو : الزيادة والارتفاع عن الحد المعروف .

والغلو في الشرع هو : الزيادة في رفع شخص فوق منزلته اللائقة به ، كالزيادة في حق الأنبياء أو الصالحين ، ورفعهم عن قدرهم إلى الربوبية أو الألوهية .

فأهل الجاهلية غلوا في الأشخاص حتى رفعوهم عن قدرهم ، على أن جعلوهم أربابا مع الله ، كما غلا اليهود في عزير وقالوا : هو ابن الله . وكما غلت النصارى ورفعوا عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - من البشرية والرسالة إلى الألوهية ، وقالوا : هو ابن الله . وكذلك قوم نوح لما غلوا في الصالحين ، وصوروا صورهم وتماثيلهم ، ثم عبدوهم من دون الله ، فرفعوهم إلى مرتبة الألوهية ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] جعلوهم آلهة .

وكذلك غيرهم من طوائف المشركين إلى اليوم ، يغلون في الصالحين ، ويطوفون بقبورهم ، ويذبحون لهم ، وينذرون لهم ، ويستغيثون بالموتى ويستنجدون بهم ، يطلبون منهم قضاء الحوائج .

(١) سورة النساء آية : ١٧١ .
(٢) سورة نوح آية : ٢٣ .

....

فالغلو يجر أصحابه إلى الشرك ، ولهذا قال ﷺ : ﴿ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ﴾ [(١)] والإطراء هو : الغلو في المدح ﴿ إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله ﴾ [(٢)] [(٣)] .

والغلو في الأشخاص من الأنبياء والصالحين ، هو الذي أوقع المشركين - من الكتابيين والأميين - في الشرك الأكبر ، والواجب أن يعرف للأشخاص قدرهم اللائق بم ، فيعرف للرسل رسالاتم ، ويعرف للصالحين صلاحهم ، ويعرف للعلماء علمهم ، وأنم أفضل من غيرهم ، ففضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وي لون منازلهم ، ولا يرفعون فوق منازلهم ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٌ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ﴾ [(٤)] ، وقال تعالى : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٍ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧ ﴾ [(٥)] ، والنبي ﷺ يقول : ﴿ إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين ﴾ [(٦)] [(٧)] .

فلا يجوز الغلو في المخلوقين ، ورفعهم فوق م لتهم التي أنزلهم الله فيها ؛ لأن هذا يجر إلى الشرك بالله ﷻ وكذلك الغلو في العلماء والعباد ، قال تعالى عن اليهود والنصارى :

---

(١) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) ، مسند أحمد (٢٣/١) ، سنن الدارمي كتاب الرقاق (٢٧٨٤) .
(٢) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) ، مسند أحمد (٢٤/١) .
(٣) أخرجه البخاري (رقم ٣٤٤٥) .
(٤) سورة النساء آية : ١٧١ .
(٥) سورة المائدة آية : ٧٧ .
(٦) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧) .
(٧) أخرجه النسائي (٢٩٦/٥ رقم ٣٠٥٧) وابن ماجه (٤٧٦/٣ رقم ٣٠٢٩) وأحمد في المسند (٢١٥/١ ، ٤٣٧) .

....

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [1] غلوا في علمائهم وعبادهم ، حتى اعتقدوا لهم الصلاحية في تحليل الحرام وتحريم الحلال ، وتغيير الشرع المطهر .

(١) سورة التوبة آية : ٣١ .

المسألة الرابعة عشرة : نفيهم الحق وإثباتهم الباطل

(إن كل ما تقدم مبني على قاعدة وهي : النفي والإثبات ؛ فيتبعون الهوى والظن ، ويعرضون عما جاءت به الرسل) .

الشـرح

كل ما تقدم من المسائل التي ذكرها الشيخ عن أهل الجاهلية إنما هي مبنية على النفي والإثبات ، فهم يثبتون ما نفاه الله ، وينفون ما أثبته الله ، ولذلك وقعوا في الضلال ، فالله جل وعلا نفى الشرك وأثبت التوحيد ، وأمر التوحيد ، وهم عكسوا ؛ فأثبتوا الشرك ، ونفوا التوحيد ، فعكسوا معنى (لا إله إلا الله) تماما ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [1] الإيمان بالباطل هو المنفي ، وهم آمنوا به وأثبتوه ، بدلا من أن يكفروا به ، والإيمان بالله هو الإثبات ، وهم كفروا بالله ، فنفوا المثبت حيث آمنوا بالباطل ، فأثبتوا المنفي ونفوا المثبت ، حيث كفروا بالله .

وهذه قاعدة الجاهلية التي يسيرون عليها ، ويتخبطون في ضلالهم ، فلو تتبعت أحوالهم لوجدتنا لا تخرج عن هذه القاعدة ، فمن أشرك بالله فقد نفى ما أثبته الله ، وأثبت ما نفاه الله ، ومن أحل حراما أو حرم حلالا ، فهو من هذا القبيل ، فمن نفى ما أحله الله ، وأثبت ما حرمه الله ، فهو من هذه القاعدة ، التي لا يخرج عنها شيء من أفعال الجاهلية ، ومن عادى أهل التوحيد ، ووالى أهل الشرك ، فقد نفى ما أثبته الله ، وأثبت ما نفاه الله ؛ لأن الله أمر بموالاة المؤمنين ، ونهى عن موالاة المشركين .

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٥٢ .

المسألة الخامسة عشرة : اعتذارهم عن قبول الحق بعذر باطل

(اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم ، كقوله : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ ﴾ [1] ، ﴿ يَـٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ [2] **، فأكذبهم الله ، وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم ، وأن الطبع بسبب كفرهم) .**

الشـرح

أي : اعتذروا عن قبول الحق بأنهم لا يفهمونه ، كما ذكر الله سبحانه وتعالى عن اليهود ، لما دعاهم رسول الله ﷺ للإسلام ، قالوا : ﴿ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [3] ، غلف يعني : عليها غلاف ، لا يصل إليها كلام الرسول ، ولا تطمئن قلوبهم إلى كلامه ، فاتخذوا هذا حجة في تكذيب الرسول ﷺ . هذا هو المعنى المشهور للآية .

والمعنى الثاني : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ ﴾ [4] يعني : أنها مملوءة من العلم ، فلسنا بحاجة إلى كلام أحد ، فليسوا - بزعمهم - بحاجة إلى الرسول ﷺ .

فالله جل وعلا يبين أن العلة ليست ما يقولون ، بل العلة أن الله لعنهم بسبب كفرهم ، يعني : طردهم وأبعدهم عن رحمته ، فصاروا لا يقبلون الحق بسبب كفرهم ، فالباء سببية ، فصاروا لا يفقهون قول الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعبأون به ؛ لأن الله صرفهم عقوبة لهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ [5] ، فمن لم يقبل الحق ابتلاه الله بالباطل ، وصار بعد ذلك لا يقبل الحق ؛

---

(١) سورة البقرة آية : ٨٨ .
(٢) سورة هود آية : ٩١ .
(٣) سورة البقرة آية : ٨٨ .
(٤) سورة البقرة آية : ٨٨ .
(٥) سورة الصف آية : ٥ .

....

لأنه يفسد قلبه ، والعياذ بالله ، كما قال تعالى : ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلاً مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (١) ، ﴿ فَبِظُلۡمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ ﴾ (٢) ، هذا في اليهود ، وقولهم : ﴿ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ ﴾ (٣) هذا ليس صحيحا ، وإنما الله صرفها ؛ عقوبة لهم ، وإلا أصل القلب أنه على الفطرة ، يقبل الحق بفطرته ، لكن إذا فسدت الفطرة صار لا يقبل الحق ، مثل الأرض إذا فسدت وصارت سبخة ، فإنا لا تنبت ؛ لأنا فسدت ، كذلك القلب إذا فسد صار لا يقبل الحق .

وكذلك قوم شعيب عليه الصلاة والسلام ، مع أنه من أفصح الأنبياء وأبينهم خطابا ، حتى لقب بخطيب الأنبياء ؛ لقوة فصاحته وتأثيره ، وبلاغة كلامه عليه الصلاة والسلام ، ومع هذا ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (٤) ، فهم لا يفقهون كلام شعيب ؛ لأن الله سبحانه وتعالى طمس على قلوبم ، مثل ما حصل لبني إسرائيل ، وهذه سنة الله جل وعلا ، أن من تكبر عن الحق ولم يقبله إذا بلغه ، فإنه يبتلى بفساد القلب ؛ عقوبة له .

وكذلك كفار قريش ، ماذا قالوا للرسول ﷺ ؟ ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة البقرة آية : ٨٨ .
(٢) سورة النساء الآيتان : ١٦٠ - ١٦١ .
(٣) سورة النساء آية : ١٥٥ .
(٤) سورة هود آية : ٩١ .
(٥) سورة فصلت آية : ٥ .

....

فالكفار طريقتهم واحدة ، يقابلون دعوات الرسل بأنهم لا يفهمون كلامهم ، هل هذا لقصور في بلاغ الرسل ؟ لا ، لكن لقصور في استعدادهم بسبب كفرهم وإعراضهم وعدم التفاتهم وعدم رغبتهم في الخير .

المسألة السادسة عشرة : اعتياض اليهود عن التوراة بكتب السحر

(اعتياضهم عما آتاهم الله بكتب السحر ، كما ذكر الله ذلك في قوله : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [(١)] **) .**

الشـرح

اليهود لما كفروا بالتوراة التي فيها صفات محمد ﷺ وأمرهم باتباعه ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [(٢)] كما بشر به عيسى في الإنجيل حيث قال : ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ ﴾ [(٣)] .

فهذا الرسول ﷺ موجود ذكره في التوراة والإنجيل ، اسمه ورسالته وصفاته عليه الصلاة والسلام ، حتى إنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، فلما كفروا بكتاب الله التوراة ولم يعملوا به باتباع محمد ﷺ ابتلاهم الله جل وعلا بأن أخذوا بكتب السحر التي هي من عمل الشياطين ، واستبدلوا عمل الشياطين بوحي رب العالمين ، وهذه عقوبة لهم ، فكل من أعرض عن الحق فإنه يبتلى بالباطل .

وكذلك مثلهم كل من ترك الحق ، فإنه يبتلى بالباطل ، فالذي يترك منهم دعوة الرسل من الدعوة إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة ، وبيان ذلك ، يبتلى بأنه يروج للشرك

---

(١) سورة البقرة الآيتان : ١٠١ - ١٠٢ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .
(٣) سورة الصف آية : ٦ .

....

والخرافات ، ويستدل لها ، ويروجها عند الناس على أنا حق ، وهذا واقع كثير من علماء الخرافيين وعلماء القبوريين ، بدلا من أن يدعوا إلى توحيد الله ، وإلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ، يدعون إلى الباطل ، ويدعون إلى عبادة القبور ، والتعلق بالأموات ، ويلتمسون لذلك الشبهات التي يروجونا على الناس ، فيشغلون وقتهم في هذا الباطل - والعياذ بالله - .

المسألة السابعة عشرة : نسبتهم الباطل إلى الأنبياء

(نسبة باطلهم إلى الأنبياء ، كقوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ ﴾ [(١)] **، وقوله :** ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ [(٢)] **) .**

الشـرح

من مناهج الجاهلية : أنم ينسبون ما هم عليه من الكفر والضلال إلى الأنبياء ، كما نسبت اليهود السحر إلى سليمان ، فقالوا : السحر من عمل سليمان ، وهو الذي كان يسيطر به على الجن والشياطين ، وما علموا أن الشياطين من خلق الله ، يسخرهم سبحانه كيف يشاء ، وقد سخرهم لنبيه سليمان عليه الصلاة والسلام ، فهؤلاء اليهود نسبوا السحر إلى سليمان ؛ من أجل أن يروجوه عند الناس ، ويقولوا : هذا من عمل الأنبياء . وكذلك اليهود والنصارى ينسبون كفرهم إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، إمام الحنفاء ، وأبي الأنبياء ، ينسبون إليه ما هم عليه من الكفر ، ويقولون : هذا دين إبراهيم ، ولهذا رد الله عليهم بقوله : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [(٣)] هذا دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، أنه على دين التوحيد ، والبراءة من الشرك والمشركين ، عكس ما عليه اليهود والنصارى .

وأيضا ما حدثت اليهودية والنصرانية إلا من بعد إبراهيم بقرون ، فكيف تنسب إليه اليهودية والنصرانية ؟ ! هذا من أقبح الكذب ، فالتاريخ يكذبم ؛ لأن بينهم وبين إبراهيم قرونا طويلة ، والتوراة ما نزلت على موسى - عليه السلام - والإنجيل ما أنزل على عيسى - عليه السلام - إلا بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، كما قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا

(١) سورة البقرة آية : ١٠٢ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٦٧ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٦٧ .

....

تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [(١)] . ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ ۗ ﴾ [(٢)] .

وكذلك كان في هذه الأمة من ينسب ما هو عليه من الباطل إلى النبي محمد ﷺ فيضع الأحاديث المكذوبة لنصرة باطله .

وكذلك من هذه الأمة من ينتسبون إلى الأئمة وهم يخالفونم في العقيدة ، فينتسبون إلى أبي حنيفة وإلى مالك وإلى الشافعي وإلى أحمد ، وهم على عقيدة المعتزلة والأشاعرة ، وينسبون هذا الاعتقاد الباطل إلى أئمة السلف ، وما كان هؤلاء الأئمة - رحمهم الله - معتزلة ، بل كانوا يحاربون المعتزلة وعلماء الكلام .

(١) سورة آل عمران آية : ٦٥ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٩٣ .

المسألة الثامنة عشرة : انتسابهم إلى الأنبياء مع مخالفتهم

(تناقضهم في الانتساب ؛ ينتسبون إلى إبراهيم مع إظهارهم ترك اتباعه) .

الشـرح

التناقض في الانتساب هو : أن ينتسب إلى شيء وهو مخالف له ، وهذا انتساب باطل وكذب .

والانتساب الصحيح هو أن ينتسب إلى الشيء ويكون موافقا له ، فالذي ينتسب إلى إبراهيم يوافق ما جاء به من توحيد الله سبحانه وتعالى ، وإخلاص العبادة له ، والبراءة من المشركين ، ولا يخالفه في شيء من ذلك .

ومن ذلك انتساب اليهود إلى إبراهيم مع امتناعهم من الحج واستنكارهم لاستقبال الكعبة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [(١)] .

وكذلك من ينتسب إلى الأئمة الأربعة ، يجب أن يوافقهم في الاعتقاد ، ولا يخالفهم إلى اعتقاد غيرهم من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة .

---

(١) سورة آل عمران الآيتان : ٩٦ - ٩٧ .

المسألة التاسعة عشرة : عيب الصالحين بفعل بعض المنتسبين إليهم

(قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين إليهم ؛ كقدح اليهود في عيسى ، وقدح اليهود والنصارى في محمد ﷺ) .

الشــرح

قدحهم في الصالحين بما يفعله بعض المنتسبين إليهم من الأفعال السيئة ، فينسبون أفعال الأتباع إلى المتبوعين ، وهم منها برآء ، كقدح اليهود في عيسى بانحراف أتباعه من الصليبيين ، والمعتقدين أن الله ثالث ثلاثة ، أو أن المسيح هو الله ، أو ابن الله .

وكذلك من يقدح في محمد ﷺ بما يفعله بعض المنتسبين إلى دينه من القبورية ، ومن الجهمية والمعتزلة والخوارج .

فنقول لمن يقدح في هؤلاء الأنبياء : ليس هذا هو دين موسى عليه السلام ، وليس هذا دين عيسى عليه السلام ، وليس هذا دين محمد ﷺ . وإذا كان عند الأتباع انحراف فإنه لا ينسب إلى الأصل ، وإنما ينسب إلى من يصدر منه هذا الشيء ، فلا تعاب رسالة موسى عليه السلام بأن اليهود حرفوا وبدلوا وغيروا ، ولا ينسب ما عند النصارى من الشرك والصليبية والكفر القبيح إلى دين عيسى عليه السلام ، ولا ينسب إلى محمد ﷺ ما عند القبوريين الذين يدعون الإسلام ، أو الملاحدة من الرافضة والباطنية ، وإن تسموا بالإسلام ، هذا لا ينسب إلى دين محمد ﷺ إنما ينسب إلى النبي من اتبعه وآمن به ، وينسب إلى الصالحين من اقتدى بهم واتبعهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [1] الآية .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ [2] .

وكذلك لا ينسب إلى الأئمة الأربعة ما عند المنتسبين إليهم من انحراف في العقيدة ومخالفة للدليل .

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠٠ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٦٨ .

المسألة العشرون

اعتقادهم أن أفعال السحرة والكهان من كرامات الأولياء

(اعتقادهم في **مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصا**لحين **، ونسبته إلى الأنبياء ، كما نسبوه لسليمان عليه السلام) .**

الشـرح

المخاريق هي : الأمور الخارقة للعادة ، ولا يقدر عليها إلا الله ، وإذا جرت على يدي نبي فهي معجزة ، مثل قلب العصا حية لموسى عليه السلام ، ومثل ما عند عيسى عليه السلام من إبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى بإذن الله ، وما أعطاه الله لمحمد ﷺ من المعجزات التي أعظمها هذا القرآن العظيم ، الذي أعجز البشرية كلها ، وأعجز الجن والإنس أن يأتوا بمثله .

أما إذا جرى خارق العادة على يد عبد صالح تقي مؤمن ، فهذا يسمى : كرامة من الله ﷻ أجراها على يده ، إما لحجة في الدين ، وإما لحاجة المسلمين ، كما حصل لمريم عليها السلام في أن زكريا إذا دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا ، وهي متفرغة للعبادة بهذا المحراب ، وهو مكان العبادة ، كذلك ما حصل لأصحاب الكهف من النوم الطويل ، وبقائهم على حالتهم لم تأكل الأرض أجسامهم ، ولم يحصل في حياتهم خلل . هذا من كرامات الأولياء .

أما ما يجري مما يشبه خوارق العادات على أيدي الكفرة ، من أفعال الشياطين فهذه تعتبر من الشعوذات والحيل والسحر التخييلي أو من أعمال الشياطين واستخدامهم لإفساد عقائد الإنس والإضرار بهم ، وليست من الكرامات ، كالذي يطير في الهواء ، أو يمشي على الماء ، وهو فاجر ، فهذا من فعل الشياطين ؛ لأنهم لما تقربوا إليهم بالكفر والشرك ؛ خدموهم . فحملوهم في الهواء ومشوا بهم على الماء .

....

فما يجري على أيدي هؤلاء الفجرة من الشعوذات والشرك هو من أعمال الشياطين أو من حيلهم ودجلهم على الناس ، وهي أمور يتعلمونا فيما بينهم كما يتعلمون السحر . ولا ينسب إلى الأنبياء وأتباعهم شيء منها ، ولهذا لما نسب اليهود السحر إلى نبي الله سليمان عليه السلام ، رد الله عليهم بأن السحر كفر ولا ينسب الكفر إلى الأنبياء ، وسليمان عليه السلام منهم ، ولا يليق به السحر .

المسألة الحادية والعشرون
تعبدهم الله بالصفير والتصفيق

(تعبدهم بالمكاء والتصدية) .

الشـرح

من مسائل الجاهلية التي خالفهم فيها رسول الله ﷺ تعبدهم - أي تقربهم - إلى الله بالمكاء والتصدية ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ (١) أي : ما كان تقرب المشركين إلى الله عند الكعبة المشرفة إلا مكاء وتصدية ، والمكاء هو : الصفير ، والتصدية هي : التصفيق بالأيدي والأكف . يعملون هذا عند البيت ، ويسمونه صلاة ، يتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى . وذلك مما زينه لهم شياطين الإنس والجن ؛ لأن العبادة لا تكون إلا بما شرعه الله سبحانه وتعالى ، وهي توقيفية ، فالإنسان لا يحدث شيئا من عند نفسه ، أو يتلقاه من غيره مما لم يشرعه الله يتعبد به إلى الله وهو ليس له أصل في الشرع .

ومن هنا يؤخذ تحريم هاتين الخصلتين : الصفير والتصفيق ، وإن لم يقصد الإنسان بهما العبادة ؛ لأن في ذلك تشبها بالمشركين .

والتصفيق إنما أباحه النبي ﷺ للنساء خاصة (٢) عند الحاجة ، كتنبيه الإمام إذا سها في الصلاة ؛ لما في صوتها - إذا كانت بحضرة الرجال - من الفتنة ، ولا يجوز للرجل أن يتشبه بالكفار ولا بالمرأة في التصفيق .

---

(١) سورة الأنفال آية : ٣٥ .

(٢) فعن أبي هريرةقال : قال رسول الله " التسبيح للرجال والتصفيق للنساء " أخرجه البخاري (رقم ١٢٠٣) ، ومسلم (رقم ٤٢٢/١٠٦) . وفي حديث سهل بن سعد أن رسول الله قال : " مالي رأيتكم أكثرتم التصفيق ، من رابه شيء في صلاته فليسبح ، فإنه إذا سبح التفت إليه ، وإنما التصفيق للنساء " أخرجه البخاري (رقم ٦٨٤) ، ومسلم (رقم ٤٢١) .

....

وإذا كان التصفيق لا يجوز للرجل عند الحاجة من تنبيه الإمام إذا سها في الصلاة وإنما ينبهه بالتسبيح فلأن لا يجوز له عند الحاجة من باب أولى . وفي هذا رد واضح على الذين يصفقون في الحفلات من الرجال تشبها بالكفار .

المسألة الثانية والعشرون : اتخاذهم الدين لهوا ولعبا

(إنهم اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) .

الشــرح

اللهو هو : كل باطل يلهي عن الحق ، واللعب هو ضد الجد ، وهو ما لا فائدة فيه . فاتخاذ اللهو واللعب دينا يتقرب به إلى الله ﷻ هو من دين الجاهلية ، وهذا موجود عند الصوفية ، فيتخذون ضرب الدفوف ، ويتخذون الأغاني عبادة لله ﷻ يتقربون إلى الله بالأغاني ، ويتقربون إلى الله بضرب الدفوف .

والأغاني وآلاتا لهو ولعب ، وهي محرمة في حد ذاتا ، فكيف إذا اتخذت عبادة لله ﷻ !

ويشبههم الآن الذين يتخذون الأناشيد التي يسمونا الإسلامية ، ويجعلونا من وسائل الدعوة إلى الله ، كما يقولون . والدعوة إلى الله ﷻ من الدين ، ولا يدخل فيها شيء من الأغاني ومن الأنغام والتنغيمات التي تلهي النفوس ، وتشغل الناس عن ذكر الله وعن قراءة القرآن ، وهي من شعارات المناهج الحزبية ، وليست من وسائل الدعوة ؛ لأن مناهج الدعوة توقيفية ، والنبي ﷺ كان يدعو الناس بالكتاب والسنة ، والوعظ والإرشاد ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، ولم يتخذ الأناشيد الجماعية وسيلة للدعوة .

وإنشاد الشعر الجيد الذي فيه ؛ للرد على المشركين والدفاع عن الإسلام ، كشعر حسان رضي الله عنه أو للتنشيط على العمل والسير في السفر ، ليس ذلك شبيها بالأناشيد الجماعية المستعملة الآن ، فلا تقاس عليه ؛ لما بينهما من الفارق الواضح .

المسألة الثالثة والعشرون الاغترار بالدنيا

(إن الحياة الدنيا غرتم ، فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه ، كقولهم : ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [1]) .

الشـرح

أهل الجاهلية يعتبرون إعطاءهم الأولاد والأموال من كرمهم على الله ﷻ وأن الله لا يعذبهم ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ ﴾ [2] ، إلى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ ﴾ [3] فليست كثرة الأموال والأولاد والثروة دليلا على محبة الله للعبد ، بل إنه قد يعطي الكافر من أجل أن يستدرجه ، وفي الحديث : ﴿ إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، وأما الدين فلا يعطيه إلا من يحب ﴾ [4] [5] وفي الحديث الآخر : ﴿ لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء ﴾ [6] [7] .

---

(١) سورة سبأ آية : ٣٥ .

(٢) سورة سبأ الآيات : ٣٥ - ٣٧ .

(٣) سورة سبأ آية : ٣٩ .

(٤) أحمد (٣٨٧/١) .

(٥) أخرجه أحمد (٣٨٧/١) ، والحاكم (١٩٣/١ رقم١٠٢) ، (٢٣٠/٥ رقم ٧٣٨١) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٦) الترمذي الزهد (٢٣٢٠) ، ابن ماجه الزهد (٤١١٠) .

(٧) أخرجه الترمذي (٥٦٠/٤ رقم ٢٣٢٥) ، وقال أبو عيسى : هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه .

....

وهذا رسول الله ﷺ أكرم الخلق على الله ، وكذلك صحابته ، يصيبهم الجوع ، ويصيبهم الفقر والفاقة ، وهم أكرم الخلق على الله بعد النبيين ، والكفار يسرحون ويمرحون في النعم من باب الاستدراج لهم .

فلا يستدل بزهرة الدنيا على كرامة أهلها عند الله سبحانه وتعالى ، وإنما يستدل بكرامة العبد على الله إذا كان على عمل صالح ، سواء كان غنيا أو فقيرا ، فهذا هو الكريم على الله سبحانه وتعالى ، ومعايير الناس أن أهل الدنيا وأهل الغنى والثروة هم أكرم عند الله ﷻ وأن أهل الفقر وأهل الفاقة إنما كانوا كذلك لهوانهم على الله معايير باطلة .

المسألة الرابعة والعشرون : زهدهم في الحق إذا كان عليه الضعفاء

(ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء ؛ تكبرا وأنفة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ [1] **الآيات) .**

الشـرح

أهل الجاهلية يرفضون الحق إذا كان عليه الضعفاء من الناس ، ولهذا قالوا : ﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآ ﴾ [2] يعني : ليسوا أولى بالجنة منا ، نحن أقدم منهم ، وأشرف منهم ، هؤلاء ضعفاء ما لهم قيمة ولا مقدار في التمع . وقد رد الله عليهم بقوله : ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [3] فالله جل وعلا لا يعطي هذا الدين إلا لمن أحب ، أما الدنيا فيعطيها لمن يشاء من أحبابه ومن أعدائه .

---

(١) سورة الأنعام آية : ٥٢ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٥٣ .

(٣) سورة الأنعام آية : ٥٣ .

المسألة الخامسة والعشرون
الاستدلال على كون الشيء باطلا بسبق الضعفاء إليه

(الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء ، كقوله : ﴿ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ ﴾ [1] **) .**

الشـرح

من عادات أهل الجاهلية : الاستدلال على بطلان الشيء بسبق الضعفاء إليه ، كما قال الله عن المشركين أنهم يقولون : ﴿ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ ﴾ [2] يقولون : نحن أهل معرفة ، وأهل خبرة ، وأهل تفكير ، نعرف الأمور ، ولما رأينا أن هذا الذي جاء به محمد ليس حقا ، تركناه ، ولو كان حقا لسبقنا إليه ، فتركنا له دليل على أنه ليس حقا .

وهذا من أبطل الباطل ؛ لأن الحق ليس اتباعه موقوفا على طبقة من الناس ، بل اتباع الحق منة يمن الله بها على من يشاء من عباده ويوفقه لها . وأتباع الرسل أكثرهم من الضعفاء ، كما قال تعالى : ﴿ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [3] ، وقوله عن قوم نوح : ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ [4] أي : ليس عندهم تفكير . ويزعمون أنهم هم أهل التفكير وأهل العقول ، فلو كان ما جاء به نوح ﷺ حقا ؛ اتبعه أهل الرأي والملأ من الناس ، فتركهم له دليل على أنه ليس حقا . وهذا باطل ؛ لأن الغالب أن الذين يكفرون بالحق هم أهل الترف ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ

---

(١) سورة الأحقاف آية : ١١ .
(٢) سورة الأحقاف آية : ١١ .
(٣) سورة الشعراء آية : ١١١ .
(٤) سورة هود آية : ٢٧ .

....

أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] ، وغالب من يتبع الحق الضعفاء والفقراء ؛ لأنهم ليس عندهم تكبر .

فالاستدلال على الشيء بأنه حق باتباع الأغنياء له ، أو ذوي الجاه ، والاستدلال على أنه باطل باتباع الضعفاء ، هذا معيار أهل الجاهلية ، لا يجوز أن يتخذ ميزانا يوزن به معرفة الحق من الباطل ؛ ولهذا يقول العلماء : الحق لا يعرف بالرجال ، وإنما يعرف الرجال بالحق .

(١) سورة سبأ آية : ٣٤ .

المسألة السادسة والعشرون
تحريف أدلة الكتاب بعد معرفتها لتوافق أهواءهم

(تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) .

الشـرح

من شأن اليهود والنصارى : تحريف كتاب الله ، التوراة والإنجيل ، من بعد ما عقلوه ، تعلموه وفهموه ، حرفوه بزيادة أو نقصان ، أو تفسير بغير المعنى الصحيح ، من أجل أن توافق أهواءهم ، وهذه مصيبة لا يزال المسلمون يعانون منها ، وأول ما كانت عند أهل الكتاب من أهل الأهواء والرغبات والشهوات ، إذا لم يقدروا على تكذيب النص وجحوده ، سطوا عليه بالتحريف والتأويل والتفسير بغير معناه .

ولا يزال المسلمون يعانون من هذه الآفة من أهل الأهواء والفرق الضالة وأصحاب الشهوات . إذا قيل لهم مثلا : الربا حرام ، قالوا : المراد بالربا كذا ، يفسرون الربا على حسب هواهم ، والآن موجود لهم كتب وكتابات وفتاوى تبيح الربا .

وإذا قيل : هذا حرمه الله ورسوله ، قالوا : ليس هذا هو الربا الذي حرمه الله ورسوله ؟ الربا الذي حرمه الله ورسوله هو ربا الجاهلية ، زيادة الدين على المعسر فقط ، وأما ربا الفضل فليس محرما . أو يقولون الربا المحرم هو الربا الاستهلاكي أما الربا الاستثماري فهو مباح . ويقولون ربا الفضل لم يذكر تحريمه في القرآن .

فنقول لهم صح في الأحاديث في سنة الرسول ﷺ تحريم ربا الفضل ، في الصحيحين : ﴿ الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد ﴾ [(١)] [(٢)] هذا ربا الفضل ، حرمه رسول

---

(١) مسلم المساقاة (١٥٨٧) ، الترمذي البيوع (١٢٤٠) ، النسائي البيوع (٤٥٦١) ، أحمد (٣١٤/٥) ، الدارمي البيوع (٢٥٧٩) .

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٢١٣٤ ، ٢١٧٤) ، ومسلم (رقم ١٥٨٤ ، ١٥٨٧) . واللفظ له .

....

الله ﷺ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [1] .

وربا الفضل داخل في عموم قوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ﴾ [2] .

فلما كان في اليهود من يحرف التوراة ، وكان في النصارى من يحرف الإنجيل ، وجد في هذه الأمة من يحرف القرآن والسنة ، من أجل إباحة ما هو عليه أو عليه غيره . والواجب على المسلم اتباع الكتاب والسنة .

ومن تحريف اليهود : أن الله لما قال لهم : ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾ [3] حط عنا ذنوبنا واغفر لنا ، حرفوا وقالوا : حبة في حنطة ، زادوا حرف النون .

والمؤولة لصفات الله ، لما قال الله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [4] قالوا : معناه : استولى . فزادوا اللام من جنس نون اليهود .

هذا تحريف بالزيادة ، وهناك تحريف بالنقص ، وتحريف في المعنى ، وهو تفسير القرآن بغير تفسيره الصحيح ، وتفسير الأحاديث بغير تفسيرها الصحيح ، هذا كله من تحريف الكلم عن مواضعه .

---

(١) سورة الحشر آية : ٧ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٧٥ .
(٣) سورة البقرة آية : ٥٨ .
(٤) سورة طه آية : ٥ .

المسألة السابعة والعشرون : تأليف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله

(تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله ، كقوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [(١)] **) .**

الشـرح

من آفات اليهود : أنم يؤلفون المؤلفات ويكتبونا بأيديهم ، ويضمنونا الباطل ، ويقولون : هذا من عند الله ؛ ليحصلوا على مكافأة من الناس ، أو يبيعوا هذه الكتب في الأسواق وتدر عليهم أموالا . وتصنيف الكتب الضالة وترويجها على الناس حرفة اليهود ، ومن تشبه بم من هذه الأمة .

والواجب على العالم حينما يكتب شيئا من العلم : أن يتقي الله سبحانه وتعالى ، ولا يكتب إلا ما يوافق الكتاب والسنة ؛ لأنه مسئول عن كتابته ، فلا يكتب في فتواه ولا في مؤلفه ولا في مقالته إلا ما يوافق الكتاب والسنة ، ولا يكتب شيئا من عند نفسه وهواه ، ويقول : هذا من الشرع ، أو هذه هي الشريعة .

وما أكثر تصنيف الكتب في هذه الأيام ، أو الرسائل ، أو الفتاوى الضالة الباطلة باسم الإسلام ، وهذا مثل فعل اليهود .

فهذا ينبه المسلم الذي يريد أن يكتب أو يؤلف أو يفتي ، أن يتوقف عند حدود الله سبحانه وتعالى ، وأن يتقي الله ، وأن يكتب للحق ، وإن لم يرض الناس .

---

(١) سورة البقرة آية : ٧٩ .

المسألة الثامنة والعشرون : رفض ما عند غيرهم من الحق

(أنهم لا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم ، كقوله : ﴿ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ [١] **) .**

الشـرح

إذا قيل لهم : آمنوا بما أنزل الله على محمد ﷺ ﴿ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ [٢] أي على موسى عليه السلام ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ [٣] أي : غيره ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [٤] ، يقولون : نحن نؤمن بالتوراة التي أنزلت على نبينا موسى ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ [٥] وهو الإنجيل الذي أنزل على عيسى ، والقرآن الذي أنزل على محمد ﷺ ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [٦] الإنجيل والقرآن مصدقان لما في التوراة .

فرد الله عليهم بأنكم إذا كنتم تتبعون ما أنزل على موسى ، فكيف تقتلون الأنبياء ؟ هل أنزل على موسى قتل الأنبياء ؟ حيث قتلوا زكريا ، وقتلوا يحيى ، وهموا بقتل عيسى عليه السلام ، فرفعه الله إليه ، وعصمه منهم ، وهموا بقتل محمد ﷺ فهم مهمتهم قتل الأنبياء ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [٧] بعض الرسل كذبوهم ، وبعض الرسل قتلوهم ، لماذا ؟

---

(١) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٢) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٣) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٤) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٥) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٦) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٧) سورة البقرة آية : ٨٧ .

....

لأنم جاءوهم بما لا تهوى أنفسهم ، فكيف يقولون : نؤمن بما أنزل علينا ؟ وأين هذا من الإيمان بالذي أنزل عليهم ؟

وأيضا مما أنزل عليهم في التوراة نعت محمد ﷺ وبيان رسالته وصفاته عليه الصلاة والسلام ، فلماذا لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ؟ إن الإيمان بمحمد ﷺ هو إيمان بما أنزل عليهم ، وقد كفروا به ، وهم يقولون : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ [1] .

وهذا يشمل من يقول : أنا لا أتبع إلا فلانا من العلماء والواجب أنه يقبل الحق ، ولا يتعصب لإمامه ، أو لمدرسه ، أو لشيخه ، مثل مشايخ الطرق ؛ يتعصب لهم المريدون والأتباع ، ولا يقبلون الحق إلا ما قال هؤلاء ، وهذا أمر باطل ؛ لأنه لا يجب اتباع معين من الخلق إلا رسول الله ﷺ ومن قال : إنه يجب اتباع معين غير الرسول فإنه مرتد ، يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ؛ لأنه جعل فلانا مساويا للرسول ﷺ .

فلا أحد يجب اتباعه إلا رسول الله ﷺ أما غيره من الأئمة والعلماء - رحمهم الله - فيتبعون فيما وافقوا فيه الحق ، وما أخطأوا فيه من الاجتهاد ، فإنه لا يجوز أخذه ، ولو كان من الأئمة ، وهم يقولون ذلك ، يقولون : لا تأخذوا من أقوالنا إلا ما وافق كلام الرسول ﷺ .

(١) سورة البقرة آية : ٩١ .

المسألة التاسعة والعشرون : لا يعملون بقول من يزعمون أنهم يتبعونهم

(إنهم مع ذلك لا يعملون بما تقوله طائفتهم ، كما قال تعالى ونبه : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [(١)] **) .**

الشـرح

أي : هؤلاء اليهود يدعون أنهم يتبعون ما أنزل إليهم في التوراة ، وهذا يكذبه أمران :

أولا : قتلهم الأنبياء ، وليس في التوراة قتل الأنبياء ، بل فيها الإيمان بهم ، وتعظيمهم ، واتباعهم والاقتداء بهم .

الأمر الثاني : أن التوراة تأمرهم باتباع محمد ﷺ ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [(٢)] . هذه صفاته ﷺ في التوراة ، ولم يؤمنوا به ﷺ فلم يقولوا بما قاله أنبياؤهم وعلماؤهم الذين يدعون الإيمان بهم . ولا يعملون بما يقولون .

---

(١) سورة البقرة آية : ٩١ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .

المسألة الثلاثون : الأخذ بالافتراق وترك الاجتماع

(وهي من عجائب آيات الله ! - أنهم تركوا وصية الله بالاجتماع ، وارتكبوا ما نهى عنه من الافتراق ، وصار كل حزب بما لديهم فرحين) .

الشـرح

من عجائب آيات الله سبحانه وتعالى : أنهم لما تركوا الاجتماع على كتاب الله ﷻ وشرعه المنزل على الرسل ، والاعتصام به ، ابتلاهم الله بالتفرق والتشتت والتناحر ، والفرح بما هم عليه من الباطل ، وهذه عقوبة لهم ؛ لأن الإنسان إذا فرح بالباطل فإنه لا يتركه ، أما إذا لم يفرح به وكان عنده تشكك منه ، فهذا حري أنه يتوب ويرجع عنه ، لكن إذا اطمأن إليه وفرح به ، فإنه لا يتحول عنه ، وهذه عقوبة من الله جل وعلا ؛ لأن من ترك الحق يبتلى بالباطل ، ومن ترك الاجتماع فإنه يبتلى بالتفرق والتشتت ، والتناحر والتطاحن ، فما تجد أناسا مختلفين فيما بينهم من أمور الدين والدنيا إلا وتجد بينهم العداوات والحزازات والبغضاء ، بل ربما الاقتتال فيما بينهم ، ولا تجد من يتمسك بالاجتماع على الكتاب والسنة إلا وتجد بينهم الألفة والمحبة والتناصر والتعاون ، كأنهم جسد واحد ، فلا عصمة إلا بالاجتماع على الكتاب والسنة ، ولا وحدة إلا باتباع الكتاب والسنة ، وما عدا ذلك فإنه فرقة وعذاب .

فهؤلاء الذين يريدون توحيد المسلمين كما يقولون ، يقال لهم : إذا كنتم تريدون توحيد المسلمين ، وحدوا العقيدة ؛ بأن تكونوا جميعا على عقيدة التوحيد التي جاء بها رسول الله ﷺ ولا تتركوا الناس ، هذا قبوري ، وهذا صوفي ، وهذا شيعي ، وحدوا العقيدة أولا ، واعتصموا بلا إله إلا الله ، ثم وحدوا الحكم بما أنزل الله ، فارجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وانبذوا القوانين والأنظمة والعادات القبلية وغير ذلك ، ارجعوا إلى الكتاب والسنة ، إذا كنتم تريدون الاجتماع ووحدة المسلمين ، فلن يتحد المسلمون إلا على هذا ، إلا على وحدة العقيدة ووحدة المرجع ؛ وهو الحكم بما أنزل الله ، ووحدة

....

القيادة ؛ وذلك بالسمع والطاعة لولي أمر المسلمين ، هذا الذي يوحد أمر المسلمين ، كما قال النبي ﷺ : ﴿ إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ﴾ [(١)] [(٢)] .

---

(١) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٣٦٧/٢) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٧١٥) .

المسألة الحادية والثلاثون : عداوتم للدين الحق ومحبتهم للدين الباطل

(وهي من أعجب الآيات أيضا ! - معاداتم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة ، ومحبتهم دين الكفار - الذين عادوهم وعادوا نبيهم وفئتهم - غاية المحبة ، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى عليه السلام ، واتبعوا كتب السحر ، وهي من دين آل فرعون) .

الشـرح

من مسائل أهل الجاهلية التي خالفهم فيها رسول الله ﷺ معاداتم لدينهم الذي أمروا باتباعه ، واتباعهم لدين عدوهم ، إذ معلوم أن اليهود كانوا على دين موسى عليه السلام ، وأن عدوهم هو فرعون وآل فرعون الذين كانوا يسومونم سوء العذاب ، يقتلون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ويستعملونم في أخس الحرف ، إلى أن بعث الله نبيه وكليمه موسى عليه السلام ، فخلصهم الله على يده من عدوهم وأعزهم به وأكرمهم ، وخذل عدوهم وأغرقه وهم ينظرون إليه ، وأقر أعينهم بذلك ، وكان في التوراة التي بين أيديهم ، وهي كتاب الله الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام ، كان فيها أوصاف محمد ﷺ والأمر باتباعه ، وهو ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ (١) بسبب أنم شددوا ، فشدد الله عليهم ، وحرم عليهم طيبات أحلت لهم ، بسبب كفرهم وعنادهم ، فلو آمنوا بمحمد ﷺ لوضع الله عنهم هذه الآصار وهذه الأغلال ، ولكنهم أخذهم الحسد ، وقالوا : كيف يكون هذا النبي الموعود في آخر الزمان من العرب ومن بني إسماعيل ؟ اللائق أن يكون هذا من بني إسرائيل ، ولا يكون من بني إسماعيل ، هكذا قالوا ، فحسدوا محمدا ﷺ وأمته

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .

....

وكفروا به ، وهم يعلمون أنه رسول الله ، والذي حملهم على هذا هو الحسد والكبر ، والعياذ بالله .

ولما كفروا بمحمد كانوا كافرين بموسى عليه السلام ، وبكتابه الذي هو التوراة ، فكفروا بالتوراة التي عندهم ؛ من أجل الحسد لمحمد ﷺ واستبدلوا التوراة بكتب السحر التي هي دين عدوهم فرعون ؛ لأن السحر كان فاشيا في قوم فرعون ، فتركوا الوحي المنزل ، وأخذوا بالسحر الذي كان عليه عدوهم ، وهذا من العجائب ! يقول الله جل وعلا : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [1] ، ﴿ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [2] هذا الرسول وصفاته وما جاء به ، عملوا عمل الجهال الذين لا يعرفونه ؛ تكبرا وعنادا . لم يقل : لأنم لا يعلمون ، بل قال : ﴿ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [3] لأن العالم إذا لم يعمل بعلمه ، فكأنه لا يعلم ؛ لأن ثمرة العلم العمل ، فإذا لم يعمل صار هو والجاهل سواء ، بل الجاهل يكون أخف منه إثما . ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ ﴾ [4] وهو السحر .

فأصل السحر أنه من عمل الشياطين ، ثم توارثه الكفرة على اختلاف الأزمان ، ورثه فرعون وقومه ، وورثه اليهود ، بديلا عن التوراة فالسحر قديم ، ولكن تتوارثه الكفرة جيلا بعد جيل .

فهذا من العقوبات ؛ أن الإنسان إذا ترك الحق يبتلى بالباطل ، وهذه سنة لا تتبدل ولا تتغير ، فبعض المسلمين تركوا كتاب الله وسنة رسوله ، وأخذوا بأقوال الناس ، وأخذوا

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠١ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٠١ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٠١ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

....

علم المنطق ، وأخذوا علم الكلام ، هم من هذا القبيل ، لما تركوا كتاب الله وسنة رسوله وأخذوا غيرهما ؛ لأنم لما أعرضوا عن كتاب الله وسنة رسوله ، ولم يأخذوا عقيدتم من الكتاب والسنة ، ابتلوا بأخذ العقيدة من علوم الكفرة والملاحدة ، فما أشبه الليلة بالبارحة !

وهكذا كل من ترك الحق فإنه يبتلى بالباطل ، ومن ترك مذهب أهل السنة والجماعة ، فإنه يبتلى بمذاهب الفرق الضالة ، والذي يتحزب مع الجماعات الضالة المخالفة للكتاب والسنة ومنهج أهل السنة والجماعة ، يبتلى بأن يكون مع الفرق الضالة . هذه سنة الله سبحانه وتعالى ، فهذا مما يحذر المسلم من أن يترك الحق ؛ لأنه إذا ترك الحق ابتلي بالباطل ، وإذا ترك اتباع أهل الحق اتبع أهل الباطل ، دائما وأبدا .

المسألة الثانية والثلاثون : كفرهم بالحق الذي مع غيرهم ممن لا يهوونه

(كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يهوونه ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [1]) .

الشـرح

وهذه المسألة من أخطر المسائل ، وهي : كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يهوونه ، أي لا يحبونه ، فيتركون الحق الذي معه ؛ تعصبا لكراهتهم للشخص ، فيتركون الحق من أجله .

والواجب على المسلم أن يقبل الحق ممن جاء به ؛ لأن الحق ضالة المؤمن أينما وجده أخذه ، مع صديقه أو مع عدوه ؛ لأنه يطلب الحق . أما إذا كان يعتبر الأشخاص فقط ، فهذا دين أهل الجاهلية .

ومثال ذلك : ما ذكره الله عن اليهود والنصارى - وهم أهل كتاب وعلم - فاليهود رفضوا الحق الذي مع النصارى ، والنصارى رفضوا الحق الذي مع اليهود ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [2] ، والذي حملهم على هذا هو الهوى ؛ لما كان اليهود يبغضون النصارى جحدوا ما معهم من الحق ، ولما كان النصارى يبغضون اليهود جحدوا ما معهم من الحق ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ ﴾ [3] الذي يأمرهم بقبول الحق ، ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ ﴾ [4] فالذين ليس معهم كتاب ساروا على هذا المنهج ، كل طائفة تكفر الأخرى ، وتجحد ما معها من الحق .

---

(١) سورة البقرة آية : ١١٣ .
(٢) سورة البقرة آية : ١١٣ .
(٣) سورة البقرة آية : ١١٣ .
(٤) سورة البقرة آية : ١١٣ .

والحاصل : أن الواجب على المسلم تجنب سنة اليهود والنصارى ، وهي الكفر بالحق إذا كان مع من لا يحبه ، فلا يحملك بغض الشخص على أن ترفض ما معه من الحق . ومثل هذا ما هو موجود الآن : إذا كانت طائفة أو جماعة تبغض أحد العلماء ، فإنهم يرفضون ما معه من الحق ، فيحملهم بغضهم لهذا العالم على أن يرفضوا ما معه من الحق ، وأن يعتموا عليه ، ويزهدوا فيه ، ويحذروا من مؤلفاته ، ومن أشرطته ، ولو كانت حقا . لماذا ؟ لا لشيء إلا لأنهم لا يحبون هذا الشخص .

والواجب عليك أيها المسلم أن تقبل الحق ، وإن كان مع من لا تحب ، ولا تكون العداوات الشخصية والأهواء النفسية مانعة من قبول الحق .

والنبي ﷺ لما جاءه اليهودي ، وقال : إنكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، أمر أن يقولوا : ﴿ ما شاء الله وحده ﴾ [1] ولا يقولوا : ما شاء الله وشاء محمد . [2] . فالنبي ﷺ قبل هذا الحق ، وأمر أصحابه بترك الخطأ .

وكذلك الذي جاء النبي ﷺ من أحبار اليهود وقال : ﴿ إن الله يطوي السماوات بيمينه ، ويحمل الجبال على أصبع ، والأرضين على أصبع ﴾ [3] إلى آخر الحديث ، فالنبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ؛ تصديقا لهذا الحبر [4] وأنزل الله قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ

(١) أحمد (٢١٤/١) .

(٢) عن قتيلة امرأة من جهينة : أن يهوديا أتى النبي فقال : إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة . فأمرهم النبي إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ويقولوا : ما شاء الله ثم شئت . أخرجه النسائي (١٠/٧ رقم ٣٧٨٢) ، وبنحوه عند ابن ماجه عن حذيفة بن اليمان (٥٥٠/٢ رقم ٢١١٨) ، وأحمد في المسند (٣٧١/٦-٣٧٢) ، والبيهقي في الكبرى (٥٤/٣) . ( ) .

(٣) البخاري تفسير القرآن (٤٥٣٣) ، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٦) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٢٣٨) ، أحمد (٣٧٨/١) .

(٤) أخرجه البخاري (رقم ٤٨١١ ، ٧٤١٤ ، ٧٤١٥) ، ومسلم (٢٧٨٦) .

....

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [1] ، فلما طابق قول هذا الحبر من اليهود الحق ، قبله النبي ﷺ وسر به .

الحاصل : أن المسلم يجب عليه أن يقبل الحق ، ولا تحمله عداوته الشخصية ، وأغراضه النفسية ، والإشاعات التي تشاع عن بعض أهل الحق ، لا تحمله هذه الأمور على رفض ما يقوله هذا العالم بل ينتفع به ، حتى ولو كان هذا العالم غير مستقيم ، ولو كان ما يقال فيه من الذم والعيب صحيحا ، إذا قال كلمة حق وجب أن تقبل ، لا لأجل هذا الشخص ، ولكن لأجل الحق ، هذا هو الواجب . فيجب على طلبة العلم أن ينهجوا هذا المنهج الرباني ، وهو قبول الحق ممن جاء به .

---

(١) سورة الزمر آية : ٦٧ .

المسألة الثالثة والثلاثون : تناقضهم في الإقرار والإنكار

(إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم ، كما فعلوا في حج البيت ، فقال تعالى : ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ﴾ [1] **) .**

الشـرح

اليهود يدعون أنهم على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ولكنهم لما حولت القبلة إلى الكعبة التي بناها إبراهيم أنكروا هذا غاية الإنكار ، والعياذ بالله ؛ لأنهم لا يعترفون بالكعبة ، ولا بالحج الذي هو من دين إبراهيم ، ويكفرون بالتوجه إلى القبلة ، وهم يعلمون أن هذا هو الحق ، وأن الكعبة هي قبلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وأن إبراهيم هو الذي أسس هذا البيت ، وبناه بأمر الله ﷻ كما قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ ﴾ [3] الآية ، فصارت الكعبة من بناء إبراهيم ، بأمر الله ، وهي قبلته ، وهم ينكرون هذا . وكذلك الحج من ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وهم ينكرونه ، مع أنهم يدعون أنهم على ملة إبراهيم وعلى دين إبراهيم ، لكن حملهم بغض محمد ﷺ على أن أنكروا هذا كله .

فالكعبة من ميراث إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والتوجه إليها بالصلاة ، وقصدها للحج والعمرة من دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وهؤلاء ينتسبون إلى دين إبراهيم وينكرون أعظم شعائرهم ، فهذا من التناقض العجيب !

ومثل هذا كل من ينتسب إلى الإسلام ، ويرفض بعض أحكامه ، كالذي يقول : أنا مسلم ، ثم يطوف بالقبور ويدعوها ويتبرك بها ويتمسح بها ، فإذا قيل له : هذا شرك ، فإنه لا يتحول عنه بل يستمر عليه ويبغض من نهى عنه . وهذا من التناقض في الانتساب ، ينتسب إلى الإسلام ويخالفه في أعظم شعائره ، وهو التوحيد .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٣٠ .

(٢) سورة الحج آية : ٢٦ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٢٧ .

المسألة الرابعة والثلاثون : كل فرقة تزكي نفسها دون غيرها

(إن كل فرقة تدعي أنها الناجية فأكذبهم الله بقوله : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [1] **ثم بين الصواب بقوله :** ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [2] **) .**

الشـرح

من مسائل أهل الجاهلية : أن كل فرقة منهم تدعي أنا هي التي على الحق ، وأن غيرها على الباطل وكان هذا في اليهود والنصارى ومن شابهم ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ [3] حصروا الهداية ودخول الجنة في اليهود والنصارى .

ومثلهم الفرق الضالة ، كل فرقة تدعي أنا هي التي على الحق ، وأن غيرها على الباطل ، وكل فرقة تدعي أنا الفرقة الناجية التي قال فيها النبي ﷺ : ﴿ ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار ، إلا واحدة ﴾ ولكن الرسول ﷺ بين العلامة الفارقة لهذه الفرقة عن غيرها لما ﴿ قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : " من كان على ما أنا عليه وأصحابي ﴾ [4] [5] .

ولهذا قال جل وعلا : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ [6] يعني : هاتوا دليلكم على ما تقولون ، أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ؛ لأن هذه دعوى ، والدعوى

---

(١) سورة البقرة آية : ١١١ .
(٢) سورة البقرة آية : ١١٢ .
(٣) سورة البقرة آية : ١١١ .
(٤) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .
(٥) أخرجه أبو داود (٧/٥ رقم ٤٥٩٦ ، ٤٥٩٧) ، والترمذي (٢٥/٥-٢٦ رقم ٢٦٤٥ ، ٢٦٤٦) ، وابن ماجه (٣٥٢/٤-٣٥٣ رقم ٣٩٩١ ، ٣٩٩٢ ، ٣٩٩٣) ، والحديث صححه الترمذي والألباني في صحيح الجامع (رقم ١٠٨٢ ، ١٠٨٣) .
(٦) سورة البقرة آية : ١١١ .

....

لا تقبل إلا بدليل ؛ ولهذا قال بعدها : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ (١) ، ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ (٢) يعني : متبع للرسول ﷺ فمن توفر فيه هذان الشرطان فإنه من أهل الجنة ، ومن اختل فيه هذان الشرطان أو أحدهما فهو من أهل النار ، وإن ادعى أنه من أهل الجنة .

فقوله : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ (٣) إلخ هذا المنهج السليم الذي من كان عليه صار من الفرقة الناجية ؛ لأن النبي ﷺ قال : " من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي " هذا ضابط من السنة ، والآية ضابط من القرآن ، فمن كان يريد الجنة فليسلم وجهه إلى الله ، ويحسن عمله على السنة ، ويتجنب البدع والمحدثات التي ما أنزل الله بها من سلطان .

(١) سورة البقرة آية : ١١٢ .
(٢) سورة البقرة آية : ١١٢ .
(٣) سورة البقرة آية : ١١٢ .

المسألة الخامسة والثلاثون : تقربهم إلى الله بفعل المحرم

(التعبد بكشف العورات ، كقوله : ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ ﴾ [1] **) .**

الشـرح

يتعبد أهل الجاهلية بكشف العورات في الطواف ؛ لأن الشيطان زين لهم أن من لم يكن من أهل الحرم ، وجاء من الآفاق ، فإنه لا يدخل الحرم بثيابه التي جاء بها ؛ لأنه عصى الله فيها ، فإن وجد من أهل الحرم من يعطيه ثوبا ليلبسه ويطوف به ، وإلا فإنه يخلع ثيابه عند حدود الحرم ، ويدخل عريانا ، كذا زين لهم الشيطان ، وحينما فعلوا هذه الفاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا ﴿ وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ ﴾ [2] .

فانظروا كيف سمى كشف العورة : فاحشة ، وهي : ما تناهى قبحه . وكثير من الناس في هذا الزمان يعتبرونه رقيا وتحضرا!

ثم رد الله عليهم بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ ﴾ [3] أي : لا يشرع لعباده كشف العورات ، وإنما شرع لهم سترها ؛ لما في ذلك من البعد عن الفتنة ، وعدم الوقوع في الجرائم الخلقية ، وقد كذبوا على الله وقالوا عليه بغير علم ، احتجوا بحجتين باطلتين ، إحداهما أبطل من الأخرى : الأولى : ﴿ وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ﴾ [4] ، والثانية أعظم وأخطر ﴿ وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ ﴾ [5] ، كذبوا على الله سبحانه وتعالى ، فرد عليهم

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٨ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٢٨ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٢٨ .
(٤) سورة يونس آية : ٧٨ .
(٥) سورة الأعراف آية : ٢٨ .

....

سبحانه بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [١] والقول على الله بلا علم جريمة خطيرة جدا .

ثم بين سبحانه ما ينهى عنه فقال : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [٢] الفواحش جمع فاحشة ، وهي : المعصية المتناهية في القبح ، ومنها كشف العورة ، ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [٣] علانية أمام الناس ، ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ [٤] ما فعله الإنسان خفية بينه وبين الله . ﴿ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ﴾ [٥] يعني : حجة ، فالله ما أنزل لأهل الشرك حجة أبدا ، إنما أنزل الحجة على التوحيد . أما الشرك فالله نهى عنه سبحانه وتعالى . ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٦] القول على الله بلا علم أعظم من الشرك ، ومن ذلك : قولهم ؛ الله أمرنا بكشف العورات . فليحذر الذين يقولون : هذا حلال وهذا حرام ، بدون دليل من كتاب الله وسنة رسوله .

إلى أن قال سبحانه وتعالى : ﴿ ۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ ﴾ [٧] يعني : استروا عوراتكم ﴿ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [٨] يعني : عند كل صلاة ، ومنها الطواف بالبيت .

الشاهد : أن أهل الجاهلية يتقربون إلى الله بكشف العورات ، ويعدونه عبادة لله ، فهذا من أفحش الكذب والزور ، والعياذ بالله . ومنه نأخذ تحريم كشف العورات مطلقا إلا لضرورة ، كالعلاج الضروري ، أو ما بين الزوجين بعضهما مع بعض ، وكشف العورة

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٨ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(٥) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(٦) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(٧) سورة الأعراف آية : ٣١ .
(٨) سورة الأعراف آية : ٣١ .

في غير هاتين الحالتين حرام شديد التحريم ؛ لأنه يجر إلى الفاحشة والوقوع في الجريمة ، والشيطان عرف أن العري يجر إلى الزنا واللواط ؛ فلذلك رغب الناس في كشف العورات ، وسمى هذا تقدما وحضارة ورقيا ، ونفر من الستر واللباس المحتشم ، وقال : هذا تأخر ورجعية وتقاليد بالية .

وما يقال عن الحجاب الآن ، والتزهيد فيه ، والتمسخر من أهله شيء معروف في الصحف والـلات والـالس وغير ذلك ، لكن هذا لا يضر أهل الإيمان إذا تمسكوا بدينهم .

المسألة السادسة والثلاثون : تقربهم إلى الله بتحريم الحلال وتحليل الحرام

(التعبد بتحريم الحلال ، كما تعبدوا بالشرك) .

الشـرح

من مسائل أهل الجاهلية : تعبدهم - أي : تقربهم إلى الله - بتحريم ما أوجب الله ، فحرموا ستر العورة في الطواف كما سبق من حال المشركين .

وكذلك اليهود والنصارى ، فالنصارى : حرموا على أنفسهم كثيرا من الطيبات ، واليهود أباحوا لأنفسهم ما حرم الله مثل الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ، والمشركون حرموا أنواعا من بهيمة الأنعام ، منها البحيرة والسائبة والوصيلة ، أنواع من الأنعام يسمونها بهذه الأسماء ، ويحرمونها للأصنام ، وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [(١)] ، فالمؤمن لا يتشدد في تحريم ما أحل الله ، ولا يتساهل ويستبيح المحرمات ؛ بل يكون معتدلا ، فتحريم الحلال وتحليل الحرام من دين الجاهلية ، فلا يجوز لأحد أن يحلل ويحرم إلا بدليل من كتاب الله ، وإذا اعتبر ذلك من التعبد ، مثل ما عليه النصارى في الرهبانية ، أو عليه المشركون في الطواف بالبيت ، فهذا تعبد بما لم يشرعه الله ، وتعبد لله بمعصيته سبحانه وتعالى ، وتقرب إلى الله بمعصيته ، وشرع دين لم يأذن به .

فالمسألة خطيرة جدا ، كما تعبد أهل الجاهلية بالشرك وهذا أعظم ، وهو موجود قديما وحديثا ، فالذين يطوفون بالقبور ، ويذبحون لها ، وينذرون لها ، ويقولون : هذا تقرب إلى الله ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [(٢)] ، ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [(٣)] هذا عند المشركين الأولين ، وعند المشركين المعاصرين المنتسبين إلى الإسلام ، ويقولون : هذا تقرب إلى الله جل وعلا بواسطة هؤلاء الصالحين : فهم شفعاؤنا ، ويقربوننا إلى الله زلفى .

---

(١) سورة المائدة آية : ٨٧ .

(٢) سورة الزمر آية : ٣ .

(٣) سورة يونس آية : ١٨ .

المسألة السابعة والثلاثون : اتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله

(التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله) .

الشـرح

قال الله تعالى في اليهود والنصارى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ ﴾ (١) والأحبار هم العلماء ، والرهبان هم العباد ، فاليهود والنصارى يتعبدون لله باتباع الأحبار والرهبان في معصية الله سبحانه وتعالى ، حيث يحرمون ما أحل الله ، ويحلون ما حرم الله ، فيطيعهم هؤلاء ، ويعتبرون هذا عبادة ، حيث يقولون : طاعة العلماء واجبة . فنقول : طاعتهم واجبة إذا أطاعوا الله ، أما من خالف طاعة الله فلا طاعة له ، قال ﷺ : ﴿ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴾ (٢) (٣) ولو كانوا علماء أو عبادا من أزهد الناس .

ما داموا ليسوا على حق فلا يجوز لنا اتباعهم ، ومن اتبعهم وهو يعلم أنهم يحلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، فقد اتخذهم أربابا ، يعني : أشركهم مع الله سبحانه وتعالى ؛ لأن التحليل والتحريم حق الله جل وعلا ، لا يجوز لأحد أن يحلل ويحرم ويشرع إلا بدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾ ﴾ (٤) فلا نطيع العلماء مطلقا أصابوا أو أخطأوا ، لكن نتبعهم إن أصابوا ، ونتجنب خطأهم إذا أخطأوا ، فنطيع من أطاع الله ، ونعصي من عصى الله سبحانه وتعالى ونخالف خطأ من أخطأ ، هذا هو الدين الحق .

---

(١) سورة التوبة آية : ٣١ .
(٢) مسلم الإمارة (١٨٤٠) ، النسائي البيعة (٤٢٠٥) ، أبو داود الجهاد (٢٦٢٥) ، أحمد (١/١٣١) .
(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/١٣١) .
(٤) سورة النحل الآيتان : ١١٦ - ١١٧ .

....

أما لو كنت لا تعلم أن هذا العالم مخطئ ، فأنت معذور . أما من يقول : إذا كان أخطأ فخطؤه عليه . فنقول : هذا لا يجوز ، ولا ينفعك هذا يوم القيامة ، عليهم ما حملوا وعليك ما حملت ، والفتاوى لا يعتمد عليها إلا إذا كانت مبنية على دليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمن كان يعلم أنا على غير دليل ، فإنه يحرم عليه أن يأخذ بنا ، ومن كان يجهل هذا فهذا معذور ، لكن يجب عليه التحري وزيادة التثبت .

المسألة الثامنة والثلاثون : إلحادهم في أسماء الله وصفاته

(**الإلحاد** في **الصفات ، كقوله تعالى :** ﴿ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [1]) .

الشـرح

الصفات : أي صفات الله ﷻ التي أثبتها لنفسه ، والإلحاد في اللغة معناه : الميل عن الاستقامة ، والمراد به هنا : الميل في صفات الله ، ومن ذلك نفيها عنه سبحانه وتعالى ، فنفي الصفات إلحاد ؛ لأنه ميل عن الحق ، وانحراف عن الحق ، فأهل الجاهلية يلحدون في صفات الله ، بمعنى أنم يجحدونا وينفونا عن الله ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [2] حيث ظنوا أن الله لا يعلم كثيرا من أعمالهم ، فنفوا صفة العلم عن الله .

هذا وجه الشاهد من الآية ؛ لأن العلم صفة عظيمة من صفات الله سبحانه ، فهو يعلم كل شيء ، لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده ومن غيرها ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [3] يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، فعلمه سبحانه وتعالى شامل ومحيط بكل شيء ، فمن ظن أنه لا يعلم بعض أعماله فإنه يكون ملحدا في صفات الله ، نافيا لصفة العلم .

ثم قال جل وعلا : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾ [4] .

---

(١) سورة فصلت آية : ٢٢ .
(٢) سورة فصلت آية : ٢٢ .
(٣) سورة التغابن آية : ٤ .
(٤) سورة فصلت آية : ٢٣ .

....

أي : أوقعكم في الردى ، وهو الهلاك ﴿ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [1] فدل على أن من نفى صفة من صفات الله سبحانه وتعالى ، أنه متشبه بأهل الجاهلية ، ومتوعد بأشد الوعيد ، فعلى هذا يكون نفاة الصفات - من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية - قد ورثوا هذه الخصلة القبيحة عن أهل الجاهلية ، وأنم متعرضون لذا الوعيد الشديد ؛ ولأنم ظنوا بالله ظن السوء .

ومن الإلحاد في الصفات تأويلها وصرفها عن معناها الصحيح إلى معنى باطل كتأويل الاستواء بالاستيلاء واليد بالقدرة وغير ذلك . ومن الإلحاد فيها تفويض معناها إلى الله وجحد معناها الذي تدل عليها نصوصها .

(١) سورة فصلت آية : ٢٣ .

المسألة التاسعة والثلاثون : الإلحاد في أسماء الله تعالى

(الإلحاد في الأسماء ، كقوله : ﴿ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾ [(١)]) .

الشـرح

أهل الجاهلية يلحدون في الصفات ، ويلحدون في أسماء الله سبحانه وتعالى ، فينفونا ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾ [(٢)] والرحمن من أسمائه سبحانه وتعالى ، وذلك أن الرسول ﷺ لما أراد أن يكتب الصلح بينه وبين المشركين في الحديبية ، فجاء سهيل بن عمرو ، فقال : هات اكتب بيننا وبينكم كتابا ، فدعا النبي ﷺ الكاتب ، فقال النبي ﷺ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، قال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ﴾ [(٣)] [(٤)] قالوا : ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة - يعنون مسيلمة ؛ لأن مسيلمة تسمى بالرحمن - ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ ﴾ [(٥)] .

وكذلك لما كان النبي ﷺ في مكة ، وكان يصلي ويدعو ويقول : يا الله ، يا رحمن . قال المشركون : انظروا إلى هذا الرجل ، يزعم أنه يعبد إلها واحدا ، وهو يقول : يا الله ، يا رحمن ، يعبد إلهين . فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [(٦)] فأسماء الله كثيرة ، وتعدد الأسماء لا يدل على تعدد المسمى ، وإنما يدل على عظمة هذا المسمى الذي تعددت أسماؤه .

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٠ .
(٢) سورة الرعد آية : ٣٠ .
(٣) البخاري الشروط (٢٥٨٣) ، أحمد (٣٣٢/٤) .
(٤) أخرجه البخاري (رقم ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) .
(٥) سورة الرعد آية : ٣٠ .
(٦) سورة الإسراء آية : ١١٠ .

....

فالشاهد : أن المشركين ينكرون أسماء الله ، فمن نفى أسماء الله من الفرق الضالة كالجهمية ، أو نفى معانيها وأثبت ألفاظها كالمعتزلة أو نفى بعض الصفات وأثبت بعضها كالأشاعرة ، فإنه يكون وارثا لأهل الجاهلية . وقد قال الله تعالى مثبتا أسماءه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ (١) ، وقال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ (٢) ، وقال الله تعالى : ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ (٣) ، والنبي ﷺ يقول : ﴿ أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ﴾ (٤) (٥) فأسماء الله كثيرة ، منها ما أنزله في كتابه ، وهذا كثير في القرآن ، الرحمن ، الرحيم ، العزيز ، الحكيم ، الرؤوف ، التواب ، الغفار .

وفي آخر سورة الحشر ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .
(٢) سورة طه آية : ٨ .
(٣) سورة طه آية : ٨ .
(٤) أحمد (٣٩١/١) .
(٥) أخرجه أحمد في المسند (٣٩١/١) ، والحاكم (١٨٩/٢ رقم ١٩٢٠) ، وابن حبان في صحيحه (١٦٠/٢ رقم ٩٦٨) ، وصححه الشيخ أحمد شاكر (حديث رقم ٣٧١٢ ، والألباني في الصحيحة (رقم ١٩٨) .
(٦) سورة الحشر الآيات : ٢٢ - ٢٤ .

....

فيجب الإيمان بأسماء الله سبحانه وتعالى ، وقال ﷺ في الحديث الصحيح : ﴿ إن لله تسعة وتسعين اسما ، من أحصاها دخل الجنة ﴾ [1] [2] والأدلة على أسماء الله سبحانه وتعالى كثيرة ، فمن لم يؤمن بأسماء الله ، فإنه لا يؤمن بالله سبحانه وتعالى .

(١) البخاري الشروط (٢٥٨٥) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٧) ، الترمذي الدعوات (٣٥٠٧) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٦٠) ، أحمد (٢/٢٦٧) .

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٢٧٣٦) ، ومسلم (رقم ٢٦٧٧) .

المسألة الأربعون : جحود الرب سبحانه وتعالى

(التعطيل ، كقول آل فرعون) .

الشـرح

التعطيل في الأصل : إخلاء الشيء ، يقال : عطل المكان ، إذا أخلاه ، ويقال : امرأة عاطل ، يعني : خالية من الحلي ، فالتعطيل هو : إخلاء الشيء عن غيره .

والمراد به هنا : إخلاء الكون عن خالقه ، ونفي أن يكون هناك خالق لهذا الكون ، وإنما وجد نتيجة الطبيعة كما يقولون .

وإمام المعطلة هو فرعون ، حيث يقول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ [1] ، ولكن هذا من باب المكابرة والعناد . وفي الآية الأخرى يقول : ﴿ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴾ [2] ، ﴿ فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [3] ، هذا هو التعطيل .

والفطر والعقول تدل على كذب هذا القول ؛ لأنه لا يمكن وجود مخلوق بدون خالق ، ولا يوجد فعل بدون فاعل أبدا ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [4] ، ما أجابوا على شيء من هذا . فلا هم خلقوا غيرهم ، ولا هم خلقوا أنفسهم ، ولم يوجدوا من غير خالق ، لا بد أن يكون خالق ، وإذا كان هناك خالق : هل هم هذا الخالق ؟ هل هم خلقوا أنفسهم ؟ هل أصنامهم

(١) سورة القصص آية : ٣٨ .
(٢) سورة غافر الآيتان : ٣٦ - ٣٧ .
(٣) سورة القصص آية : ٣٨ .
(٤) سورة الطور الآيات : ٣٥ - ٣٦ .

....

خلقت شيئا من السماوات والأرض ؟ حاشا وكلا ، فالعقول والفطر تكذب هذا القول .

وفي الآخرة الأخرى تحداهم وقال : ﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [1] فلم يجيبوا .

(١) سورة فاطر آية : ٣ .

المسألة الحادية والأربعون : وصف الله بالنقص

(نسبة النقائص إليه سبحانه ، كالولد والحاجة والتعب ، مع ت يه رهبانم عن بعض ذلك) .

الشــرح

النقائص ضد الكمالات ، ونسبة النقائص إلى الله سبحانه وتعالى هضم لربوبيته ، وذلك كنسبة الولد إليه ؛ لأن الوالد يحتاج إلى الولد وهو يشبهه ، فاليهود قالوا : عزير ابن الله ، والنصارى قالوا : المسيح ابن الله ، ومشركو العرب قالوا : الملائكة بنات الله ، مع أن النصارى ي هون أحبارهم عن الأولاد والزوجات ؛ لأن هذا نقص في حقهم ، فهم لا ي هون الله عما ي هون عنه رهبانم ! كذلك العرب كانوا يكرهون البنات ، وينسبونا إلى الله ، فينسبون إلى الله ما يكرهونه لأنفسهم ، ويعتبرونه عيبا ونقصا ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴾ [1] ، ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ ﴾ [2] .

ومما يذكر أن علما من علماء المسلمين ذهب برسالة إلى أحد ملوك الروم ، فلما دخل عليه قال له : كيف الزوجة والأولاد ؟ فغضب الحاضرون ؛ كيف يصف رئيسهم بأن له زوجة وأولادا ؟ ! فقال لهم رحمه الله : أنتم ت هون رئيسكم عن الزوجة والولد ، وتنسبونما إلى الله ﷻ ولا ت هونه ؟ ! فبذلك أفحمهم ، وخصمهم بذا ، وأخجلهم غاية الخجل .

---

(١) سورة النحل آية : ٥٧ .

(٢) سورة النحل آية : ٦٢ .

المسألة الثانية والأربعون : الشرك في الملك

(الشرك في الملك ، كقول المجوس) .

الشـرح

من مسائل أهل الجاهلية : الشرك في الملك ، كقول المجوس منهم . والمجوس : طائفة من البشر في بلاد فارس ، يعبدون النيران ، ويقولون : إن هذا الكون له خالقان : النور والظلمة ، فالنور خلق الخير ، والظلمة خلقت الشر ، ولهذا سموا بالثنوية . وهذا شرك في الربوبية .

وفي مذهبهم : جواز نكاح المحارم ، ومن مذهبهم : الاشتراك في الأموال والزوجات ، فلا يرون لأحد تملكا خاصا فيشتركون في النساء ، ويشتركون في الأموال ، وعليه الشيوعية في الوقت الحاضر والاشتراكية .

وهذا مذهب باطل مناقض للأديان والفطر ، فخالق الكون واحد أحد ، فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد . وقد أباح الملكية الفردية ، وحرم نكاح المحارم .

المسألة الثالثة والأربعون : جحودهم لقدر الله

(جحود القدر) .

الشـرح

القدر هو : علم الله بالأشياء ، وتقديره لها - جل وعلا - قبل وقوعها ، وكتابتها في اللوح المحفوظ ، ثم خلقه لها . والإيمان بذلك ركن من أركان الإيمان الستة ، قال ﷺ : ﴿ الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [(١)] [(٢)] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [(٣)] ، والقدر من أفعال الله سبحانه وتعالى ، ولا يقع شيء في ملكه وإلا وقد قدره وشاءه سبحانه ، وذلك أن الله علم ما كان وما يكون ، بعلمه الأزلي الذي هو موصوف به أزلا وأبدا ، ثم كتب ذلك في اللوح المحفوظ ، قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ [(٤)] أي : نخلقها : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [(٥)] ، والنبي ﷺ يقول : ﴿ واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ﴾ [(٦)] [(٧)] ﴿ رفعت الأقلام وجفت الصحف ﴾ [(٨)] [(٩)] فلا يكون شيء إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى ،

---

(١) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٢٨/١) .

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٥٠) ، ومسلم (رقم ١٠) .

(٣) سورة القمر آية : ٤٩ .

(٤) سورة الحديد آية : ٢٢ .

(٥) سورة الحديد آية : ٢٢ .

(٦) أبو داود السنة (٤٦٩٩) ، ابن ماجه المقدمة (٧٧) ، أحمد (١٨٣/٥) .

(٧) أخرجه أبو داود (٥١/٥-٥٢ رقم ٤٦٩٩ ، ٤٧٠٠) ، وابن ماجه (٥٩/١-٦٠ رقم ٧٧) .

(٨) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، أحمد (٢٩٣/١) .

(٩) جزء من حديث وصية رسول الله لابن عباس : " يا غلام إني معلمك كلمات . . . " أخرجه أحمد (٢٩٣/١) وصححه الشيخ أحمد شاكر (رقم ٢٦٦٩)

ولا يحصل شيء إلا والله خالقه ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [1] خلق الخير وخلق الشر ، وقدر الخير وقدر الشر ، وهذا ما يسمى : مراتب الإيمان بالقدر :

أولا : الإيمان بأن الله علم كل شيء .

ثانيا : أن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ .

ثالثا : الإيمان بأن الله شاء كل شيء يقع في هذا الكون ، فلا يقع شيء إلا بمشيئته سبحانه وتعالى .

رابعا : الإيمان بأن الله خالق كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل .

هذا هو الإيمان بالقدر . والجاهلية كانوا ينكرون القدر ، والدليل على ذلك : ثلاث آيات في القرآن : الأولى في سورة الأنعام : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [2] ، وفي سورة النحل : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ [3] ، وفي سورة الزخرف : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ﴾ [4] .

والعلماء في تفسير هذه الآيات على قولين :

القول الأول : أن المراد بقولهم : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [5] : نفي القدر ، يقولون : لو كان لله مشيئة ما تركنا نعمل هذه الأشياء . فقصدهم نفي القدر ، وأنهم هم الذين يفعلون هذه الأشياء بدون مشيئة الله سبحانه وتعالى ، فنفوا القدر ، وأضافوا هذه الأفعال إلى أنفسهم واستقلالهم ، فيكون هذا نظير مذهب المعتزلة تماما ؛ لأنهم يقولون : ليس لله

(١) سورة الزمر آية : ٦٢ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .
(٣) سورة النحل آية : ٣٥ .
(٤) سورة الزخرف آية : ٢٠ .
(٥) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

مشيئة في الكفر والإيمان والخير والشر ، وإنما هذا من صنع العباد . فيكون المعتزلة قالوا بقول أهل الجاهلية .

القول الثاني : أن المراد بقولهم : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ [(١)] أي أن الله جل وعلا راض عن أفعالنا هذه ؛ لأنه لو لم يرض ، لم يتركنا نعمل هذا ، فيكونون يؤمنون بالقدر ، لكن يحتجون به على تسويغ كفرهم ، بل يبلغ الأمر إلى أن يقولوا : إن هذا طاعة لله ؛ لأن الله شاء ، ونحن أطعنا مشيئته وأطعنا قدره .

فالقول الثاني -وهو الاحتجاج بالقدر على فعلهم القبيح ، وأن الله شاء ذلك منهم- هو قول الجبرية ، حيث أثبتوا القدر واحتجوا به على استحسان أفعالهم القبيحة ، ويقولون : إن العبد مجبر على أفعاله . فهم ورثة أهل الجاهلية في هذا .

فالآيات تدل على أحد معنيين : إما نفي القدر ، وإما إثبات القدر والاحتجاج به على الله سبحانه وتعالى ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾ [(٢)] ، أي ما هي الحجة على هذا القول - وهو أن الله لم يشأ هذا الكفر - ؟ وهذه الأفعال .

وعلى التفسير الثاني : ما هي الحجة على أن الله رضي لكم هذه الأفعال ، وهذا الكفر ، وهذا الشرك ، وهذه الفواحش ؟ ما دليلكم أن الله رضيها ؟ أين الدليل ؟ ﴿ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [(٣)] ، الله جل وعلا يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ؛ لحكمة منه سبحانه وتعالى ، ويعلم من يستحق الهداية ، ويعلم من لا يستحق الهداية ، فلا يضع الهداية إلا في موضعها الصحيح اللائق با . ورد عليهم بأنه لو كان

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .
(٣) سورة الأنعام الآيتان : ١٤٨ - ١٤٩ .

....

راضيا بأفعالهم لما بعث الرسل بإنكار الشرك ، والأمر بالتوحيد : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [1] ، فلو كان راضيا بعبادة الطاغوت وراضيا بالكفر والشرك - على زعمكم - لما أرسل الرسل تنهى عن ذلك ، فدل هذا على أنه لا يرضى الكفر ولا الشرك ولا المعاصي والمخالفات ، بل يبغضها وينكرها سبحانه وتعالى .

وكذلك في سورة الزخرف رد عليهم بقوله : ﴿ مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [2] ، وبقوله : ﴿ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ [3] ، فهم يتقولون على الله سبحانه وتعالى ما لا يعلمون ، وهذه الأمور لا يجوز الكلام فيها إلا بدليل من الشارع ، دليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا يعتمد فيها على العقول والأفكار والآراء .

---

(١) سورة النحل آية : ٣٦ .

(٢) سورة الزخرف آية : ٢٠ .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

المسألة الرابعة والأربعون : الاعتذار عن كفرهم بأن الله قدره عليهم

(الاحتجاج على الله به) .

الشـرح

أي : الاحتجاج على الله سبحانه وتعالى بالقدر ، وأنهم معذورون في كفرهم ومعاصيهم ؛ لأن الله قدر ذلك عليهم .

والله جل وعلا ما ترك لهم حجة ، بل إنه أعطاهم الاختيار ، وأعطاهم القدرة ، وأعطاهم المشيئة ، وبين لهم طريق الخير ، وبين لهم طريق الشر ، وأعطاهم إمكانيات يستطيعون بها أن يفعلوا أو يتركوا ، وليسوا مجبرين على ما يفعلون ، وأيضا الله بين أنه لا يرضى لعباده الكفر ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ ﴾ [1] وإن كان قدره وشاءه فليس من لازم القدر الرضا ، فالله يقدر الكفر وهو يبغضه ؛ من أجل أن يتميز الناس بعضهم من بعض ، ويتميز الصادق من الكاذب ، ويتبين المؤمن من الكافر ، ويتبين المنافق من المؤمن الصحيح ، فالله قدر هذه الأمور المكروهة لحكمة منه سبحانه ، ما قدرها عبثا ، ورتب الجزاء على أفعالهم التي يفعلونها باختيارهم .

ولذلك المجنون والمعتوه والمكره والنائم لا يؤاخذون ؛ لأنهم ليس عندهم اختيار ، وليس عندهم عقل ، مهما فعل لا يؤاخذ .

فمن أعطاه الله العقل والتفكير ، ولم يكن مكرها على فعله ، فإنه يؤاخذ ؛ لأنه أقدم على الشر باختياره ، فالزاني يزني باختياره ، وتارك الصلاة يتركها باختياره ، وعنده القدرة أنه يقوم يصلي ، والزاني أيضا بين له أن الزنا حرام ، وعواقبه وخيمة ، ورتب الله على الزنا حدا رادعا ، وأرسل الرسل تنهى عن الشرك والكفر ، فكيف يحتجون على الله

(١) سورة الزمر آية : ٧ .

....

جل وعلا على معاصيهم وكفرهم وشركهم وضلالهم ؟ وهم ليس لهم حجة على الله ، وإنما الحجة لله عليهم ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ [1] .

فلا يجوز الاحتجاج بالقدر إلا على المصائب ، إذا أصابك مصيبة فلا تجزع ، وقل : هذا قدر الله وما شاء فعل ، وتصبر وتحتسب . أما المعصية فلا يحتج عليها بالقدر ، بل على العاصي أن يتوب إلى الله ، وتجنب المعاصي والشرور ، فالاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي هو فعل الجاهلية .

(١) سورة الأنعام آية : ١٤٩ .

المسألة الخامسة والأربعون : دعواهم التناقض بين شرع الله وقدره

(معارضة شرع الله بقدره) .

الشـرح

هذه المسألة أيضا تتعلق بالقدر ؛ لأن هناك من يعارضون شرع الله بقدره ، ويقولون : كيف يقدر الله الكفر والإيمان ، ثم يشرع لعباده الشرائع والأوامر والنواهي ، مع أنا لا فائدة منها إذا كانت الأمور مقضية ومقدرة ، فإن الناس يعتمدون على القدر ؟

وهذه من أخطر مسائل الجاهلية ، ويتبعها كل من سلك هذا المسلك إلى يوم القيامة ممن يزعمون أن بين الشرع والقدر معارضة ، وهذا مذهب باطل ، فلا معارضة بين الشرع والقدر أبدا ، فالله قدر الشرك والمعاصي والكفر ، ونهى عن ذلك ، وشرع الإيمان والاستقامة والصلاح ، ولا معارضة بينهما ؛ لأن العباد هم الذين يفعلون هذه الأفعال باختيارهم وإرادتهم ومشيئتهم ، فالفعل منسوب إليهم ، ولذلك يعاقبون على المعاصي ، ويثابون على الطاعات ، وإن كانت مقدرة من الله سبحانه وتعالى ، فإنهم إنما يجازون على فعالهم لا على القدر .

ولما بين النبي ﷺ لأصحابه وقال : ﴿ ما منكم من أحد إلا ومقعده معلوم من الجنة أو النار ، قالوا : يا رسول الله ، ألا نتكل على كتابنا ونترك العمل ؟ قال ﷺ اعلموا ، فكل ميسر لما خلق له ﴾ [1] [2] فأنزل الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾ [3] .

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٦٦٦) ، مسلم القدر (٢٦٤٧) ، الترمذي القدر (٢١٣٦) ، أبو داود السنة (٤٦٩٤) ، ابن ماجه المقدمة (٧٨) ، أحمد (١/١٥٧) .

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٤٩٤٥ ، ٤٩٤٧) ومسلم (رقم ٢٦٤٧) .

(٣) سورة الليل الآيات : ٥ - ١٠ .

....

فالعبد يعمل من جانبه الخير ، ويتجنب الشر ، وأما القدر فهو سر الله سبحانه وتعالى ، لا تبحث فيه ؛ لأنه لا يعنيك ، ولن تصل إلى نتيجة .

وقد تلخص من هذه المسائل : أن الناس في القدر مع الشرع ، انقسموا إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : من يثبت القدر ، وينفي الشرع . وهم الجبرية .

القسم الثاني : من يثبت الشرع ، وينفي القدر . وهم القدرية .

القسم الثالث : من يثبت الشرع والقدر ، ويزعم أن بينهما تناقضا ، وهم المشركون .

القسم الرابع : من يثبت الشرع والقدر ، وينفي عنهما التناقض ، وهم أهل السنة والجماعة .

المسألة السادسة والأربعون
نسبتهم الحوادث إلى الدهر ومسبتهم له

(مسبة الدهر ، كقولهم : ﴿ وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾ [(١)]) .

الشـرح

الذين ينسبون الحوادث إلى الدهر هم الدهرية ؛ وذلك أنهم إذا حل بهم مكروه فإنهم ينسبونه إلى الدهر ، ويذمون الدهر من أجل ذلك . والواجب أن تنسب الأشياء إلى الخالق سبحانه وتعالى ، والدهر إنما هو وقت مخلوق من مخلوقات الله ، ليس عنده تصرف ، وقد أنكر الله سبحانه على من يسند الحوادث إلى الدهر بقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾ [(٢)] ؛ لأن هذا إنكار للآخرة وإنكار للبعث ، ﴿ نَمُوتُ وَنَحۡيَا ﴾ [(٣)] يموت ناس ويحيا ناس ، ويقولون : رحم تدفع وأرض تبلع ، ويقولون : هذه طبيعة الحياة ، ﴿ وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾ [(٤)] ينسبون الهلاك إلى الدهر ، فسبب الموت عندهم مرور الليالي والأيام ، وليس هناك آجال مقدرة ، ولا هناك ملك يقبض الأرواح عند انتهاء آجالها .

وقد نهى النبي ﷺ عن سب الدهر فقال : ﴿ لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر ﴾ [(٥)] [(٦)] يعني : أن الله خالق الدهر ، وأن ما يجري في الدهر هو بتقدير الله ، وفي

---

(١) سورة الجاثية آية : ٢٤ .
(٢) سورة الجاثية آية : ٢٤ .
(٣) سورة الجاثية آية : ٢٤ .
(٤) سورة الجاثية آية : ٢٤ .
(٥) مسلم الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦) ، أحمد (٤٩١/٢) .
(٦) بوب البخاري في كتاب الأدب من صحيحه بابا وسماه : باب " لا تسبوا الدهر " وأخرج فيه الحديث التالي وأخرجه مسلم (رقم ٥/٢٢٤٦) واللفظ له .

....

الحديث القدسي يقول الله تعالى : ﴿ يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار ﴾ [1] [2] فإذا سببت الدهر فقد سببت خالق الدهر سبحانه وتعالى ، وهذا مما يؤذي الرب سبحانه وتعالى ؛ لأن الذم يقع على الله ؛ لأنه هو مصرف الأمور ، ومقدر الآجال والمصائب وكل شيء ، وأما الدهر فإنه زمان مخلوق لله عز وجل .

فيجب على المسلمين أن يتجنبوا هذا ، وإذا أصابهم شيء فإنهم يحاسبون أنفسهم ، ويعترفون بذنوبهم ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [3] فينبغي أن يذم الإنسان نفسه ويلومها ولا يذم الدهر .

---

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٥٤٩) ، مسلم الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦) ، أبو داود الأدب (٥٢٧٤) ، أحمد (٢/٢٣٨) .

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٤٨٢٦ ، ٦١٨١ ، ٧٤٩١) ومسلم (رقم ٢٢٤٦) .

(٣) سورة الشورى آية : ٣٠ .

المسألة السابعة والأربعون : كفرهم بنعم الله

(إضافة نعم الله إلى غيره ، كقوله : ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [1] **) .**

الشـرح

إضافة النعم إلى غير الله سبحانه وتعالى شرك بالله وكفر به ، وهو من عمل أهل الجاهلية ، قال الله تعالى فيهم : ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [2] قيل : معنى الآية : يعرفون الرسول ﷺ ورسالته ، ثم ينكرون ذلك ؛ عنادا واستكبارا ، مع أنم في قرارة أنفسهم يعلمون أنه رسول الله ، كما قال تعالى : ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [3] فهم يعرفون نعمة الله بإرسال الرسول ؛ فالرسول ﷺ هو أكبر نعمة على البشرية ، ثم يكفرون بذا الرسول ﷺ ويعاندونه . هذا قول في تفسير الآية .

والقول الثاني : أنم يعرفون نعم الله عليهم التي ذكرها في هذه السورة - أي سورة النحل - ثم ينكرونا ، بمعنى أنم ينسبونا إلى غير الله ، ينسبونا إلى حولهم وقوتم ، وكدهم وكسبهم ، كما قال قارون : ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ [4] أي : أنا حصلته بخبرتي ومهارتي وكسبي ، فيجحد نعمة الله عليه ، وكذلك غير قارون ، فالله جل وعلا ذكر أن الإنسان إذا أنعم الله عليه نعمة قال : هذا لي . أي : هذا أستحقه ، وأنا محقوق به ، ليس من الله . وينسب ما يحصل عليه من الخير إلى نفسه ، ولا يقول : هذا بفضل الله وبرحمته .

---

(١) سورة النحل آية : ٨٣ .
(٢) سورة النحل آية : ٨٣ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٣٣ .
(٤) سورة القصص آية : ٧٨ .

المسألة الثامنة والأربعون : كفرهم بآيات الله جملة

(الكفر بآيات الله) .

الشـرح

من مسائل أهل الجاهلية : الكفر بآيات الله التي أنزلها على رسله في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، وغيرها من الكتب المنزلة ، وقد توعد الله من فعل ذلك فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [1] ، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى ﴾ [2] ، وغير ذلك من الآيات التي تذكر أن الكفار يكفرون بآيات الله سبحانه وتعالى ، ويعارضونها بعقولهم الفاسدة ، وبشبههم الباطلة ، وهذا ينجر إلى كل من كذب بآية من آيات الله ، أو بحديث صحيح عن رسول الله ﷺ فإنه من آيات الله ؛ لأنه وحي من الله ﷻ فالذي يكذب ببعض الأحاديث الصحيحة ، كما يفعله بعض المغرورين والمثقفين ، إذا لم توافق أفكارهم وعقولهم ، كما عليه العقلانيون ، كل هذا من التكذيب بآيات الله سبحانه وتعالى . والواجب على المؤمن أن يؤمن بآيات الله ، وأن يصدق بها ، وأن يعمل بها ؛ لأنها حق لا يعتريه الباطل ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [3] لا يتطرق إليها شك ولا ريب .

(١) سورة الأعراف آية : ٤٠ .
(٢) سورة العنكبوت آية : ٢٣ .
(٣) سورة فصلت آية : ٤٢ .

المسألة التاسعة والأربعون : كفرهم ببعض آيات الله

(جحد بعضها) .

الشـرح

أهل الجاهلية متفاوتون في التكذيب بآيات الله ، منهم من يكذب بآيات الله كلها ولا يؤمن بكتاب من كتب الله ، كما عليه المشركون الذين لا يؤمنون بالأنبياء جملة وتفصيلا ، ومن باب أولى لا يؤمنون بالكتب المنزلة من عند الله عز وجل . ومن أهل الجاهلية من يؤمن ببعض ويكفر ببعض كاليهود والنصارى ، ومن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه فإنه : مثل من كذب به كله ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ﴾ (١) الآية ، فهم لا يؤمنون إلا بما يوافق أهواءهم ، وما خالف أهواءهم كذبوا به ، فلا ينفعهم الإيمان ببعض الكتاب إذا كفروا بالبعض الآخر ، ولو آية ، ولو كلمة من القرآن ، ولا ينفعهم ذلك .

ومنهم من يقول : إن القرآن مخلوق ، لفظه ومعناه أو : أن ألفاظه مخلوقة ، دون معناه كالأشاعرة ، وهذا تكذيب بالقرآن ، **فمن قال :** القرآن مخلوق ، لفظه ومعناه ، كما تقول الجهمية ، أو قال : إن لفظه مخلوق ، وأما معناه فمن الله ، فهذا أيضا كفر ؛ إلا أن يكون صاحبه مقلدا أو متأولا فيكون ضلالا لأن القرآن كلام الله جل وعلا ، لفظه ومعناه ، حروف ومعانيه ، كله كلام الله سبحانه وتعالى . ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف .

---

(١) سورة البقرة آية : ٨٥ .

المسألة الخمسون : جحودهم إنزال الكتب على الرسل

(قولهم : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [1] **) .**

الشـرح

قالت اليهود : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [2] ومعناه : إنكار الرسالات كلها ، وإنكار الوحي كله ، والذي حملهم على ما قالوه : الحسد لمحمد ﷺ فرد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [3] أي : ما دمتم تقولون الكتاب الذي مع موسى من عند الله ، وموسى بشر ، فلماذا تقولون : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [4] ؟ ! فهذا تناقض من اليهود - لعنهم الله - حملهم عليه الحسد ، حتى كذبوا بالرسل كلهم ، وبالكتب كلها ، من أجل محمد ﷺ ومن أجل القرآن ، نسأل الله العافية .

فانظروا ما يفعل الحسد بأهله ؟ ومثله قول الجهمية : إن القرآن لم ي ل من عند الله . وقول من قال : إن السنة ليست وحيا من الله ، وإنما هي من اجتهاد الرسول .

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩١ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٩١ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٩١ .
(٤) سورة الأنعام آية : ٩١ .

المسألة الحادية والخمسون : وصفهم للقرآن بأنه من كلام البشر

(قولهم في القرآن : ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [1] **) .**

الشـرح

من مسائل أهل الجاهلية : أنم يقولون : إن القرآن قول البشر ، كما قاله الوليد بن المغيرة .

والقرآن كلام الله سبحانه وتعالى ، تكلم الله به حقيقة وأوحاه إلى نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل ، فهو كلامه حقيقة ، وسماه كلامه في آيات كثيرة . مثل قوله : ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [2] ، ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [3] . . . . وهذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة وأتباع الرسول ﷺ .

والمشركون يعرفون أنه كلام الله ، وأنه ليس من كلام محمد ؛ لأنه لو كان من كلام محمد لكان باستطاعتهم أن يقولوا مثله ؛ لأن محمدا ﷺ بشر مثلهم ، فلو كان من كلامه كان باستطاعتهم أن يحاكوه ، والله جل وعلا تحداهم ، أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة واحدة مثله ، فلم يأتوا بشيء من ذلك ، مع كفرهم وعنادهم وحرصهم على مشاقة الله ورسوله ، فلو كان باستطاعتهم أن يأتوا بسورة من مثله لما تأخروا ، ولكن عجزوا عن ذلك ، فدل ذلك على أنه كلام الله جل وعلا ، لا كلام غيره ، لا كلام جبريل ولا كلام محمد ، وإنما هو كلام الله ، وإنما جبريل ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - مبلغان عن الله جل وعلا كلامه بأمانة ، والكلام يضاف إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا .

---

(١) سورة المدثر آية : ٢٥ .
(٢) سورة التوبة آية : ٦ .
(٣) سورة الفتح آية : ١٥ .

....

والكفار يكابرون ، **تارة يقولون :** القرآن سحر ، **وتارة يقولون :** إنه تعلمه محمد ﷺ من علماء أهل الكتاب ، وينوعون الأقوال ؛ مما يدل على كذبهم في هذا وتخرصاتهم .

فالذي يعتقد أن القرآن كلام محمد ، وأنه قول البشر ، فقوله هذا هو قول أهل الجاهلية ، كما عليه الجهمية والمعتزلة ومن شابههم ، **ممن يقولون :** إن القرآن ليس كلام الله ، وإنما خلقه الله جل وعلا في جبريل ، أو في محمد ، أو في اللوح المحفوظ . أو غير ذلك من الأقوال الباطلة التي هي من جنس قول الجاهلية .

المسألة الثانية والخمسون : نفيهم الحكمة عن أفعال الله

(القدح في حكمة الله تعالى) .

الشـرح

الله جل وعلا وصف نفسه بالحكمة ، وأنه حكيم . والحكمة : وضع الشيء في موضعه ، فالحكيم هو : الذي يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها .

والله جل وعلا وصف نفسه بالحكمة وأنه حكيم ، والحكيم : ذو الحكمة البالغة .

وكذلك المخلوقات كلها مبنية على الحكمة ، ما خلق الله شيئا إلا لحكمة ، ما خلق الله شيئا عبثا ، خلق السماوات لحكمة ، وخلق الأرضين لحكمة ، وخلق الأشجار لحكمة ، وخلق البحار والحياة لحكمة ، وخلق الجبال لحكمة ، وخلق العوالم الجن والإنس والبهائم والحشرات ، كل شيء خلقه الله لحكمة . وإذا تدبرت إتقان المخلوقات ونتائجها عرفت حكمة الله جل وعلا ، وأن خالقها حكيم ذو حكمة بالغة ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[1] ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[2] .

والله جل وعلا حكيم في خلقه ، وحكيم في أمره ونهيه وتشريعه ، لا ينهى عن شيء إلا وفيه مضرة خالصة أو راجحة ، ولا يأمر بشيء إلا وفيه مصلحة خالصة أو راجحة .

ومن حكمته سبحانه وتعالى : أنه يحاسب الخلائق ، فيجازي المحسن بإحسانه ، ويجازي المسيئ بإساءته ، ولا يترك الناس بدون جزاء كل يعمل ثم لا يجازى ، هذا يخالف الحكمة ، ولهذا يقول جل وعلا : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾[3] ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ

(١) سورة طه آية : ٥٠ .
(٢) سورة ص آية : ٢٧ .
(٣) سورة الأنبياء آية : ١٦ .

....

كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1] ، ويقول جل وعلا - ردا على الذين ينكرون البعث - : ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [2] ، ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [3] يعني : لا يؤمر ولا ينهى ولا يجازى ؟ !

وأهل الجاهلية ينكرون حكمة الله سبحانه وتعالى في خلقه وأمره ، والمعتزلة والأشاعرة ينفون الحكمة في أفعال الله سبحانه وتعالى ، فالأشاعرة يقولون : الله لا يفعل لحكمة ، وإنما يفعل لمشيئة مجردة فقط ، لا لحكمة ؛ لأن الحكمة **معناها :** أنه يعمل لغرض ، والله م ه عن الأغراض ؛ ولأن الحكمة تؤثر عليه فيكون خلقهم من أجل هذه العلة ، والله جل وعلا يفعل ما يشاء بمجرد المشيئة والإرادة فقط ، لا لحكمة . فينفون الحكمة في أفعال الله وفي شرعه ؛ ت يها لله - بزعمهم - عن الأغراض ، ولهذا **يقولون :** يجوز أن يأمر الله بالكفر والفسق والمعاصي ، وينهى عن الطاعة وعن إقامة الصلاة وعن صلة الأرحام وعن فعل الخير ؛ لأن هذا راجع لمشيئته ، فيجوز أن يأمر بالشر وينهى عن الخير ؛ لأنه يفعل ما يشاء .

ونقول لهم : نعم ، يفعل ما يشاء سبحانه ، لكنه لا يفعل شيئا إلا لحكمة .

ويقولون : يجوز أن يدخل الله الكافر الجنة ، وأن يدخل المؤمن التقي النار ؛ لأن هذا راجع إليه ، فلا تحكمه العلل .

ونقول : هذا كلام باطل لا يليق بحكمة الله سبحانه وتعالى ، فالله جل وعلا يقول : ﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [4] ، ويقول : ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ

---

(١) سورة ص آية : ٢٧ .
(٢) سورة المؤمنون آية : ١١٥ .
(٣) سورة القيامة آية : ٣٦ .
(٤) سورة ص آية : ٢٨ .

....

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [1] فالذين قالوا هذه المقالة وصفوا الله بالسوء والجور ، تعالى الله عن ذلك .

فهذا هو مذهب أهل الجاهلية ونفاة الحكمة من الأشاعرة ونحوهم ، نسأل الله العافية .

---

(١) سورة الجاثية آية : ٢١ .

المسألة الثالثة والخمسون : تحيلهم لإبطال شرع الله

(إعمال الحيل الظاهرة والباطنة في دفع ما جاءت به الرسل ، كقوله تعالى عنهم : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [(١)] **، وقوله :** ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ ﴾ [(٢)] **. . .) .**

الشــرح

من أعمال أهل الجاهلية من الكتابيين والأميين : إعمالهم الحيل في تغيير شرع الله سبحانه وتعالى ؛ للتخلص منه وإنفاذ كفرهم وضلالهم ؛ لأنهم لا يقدرون على المصارحة ، فصاروا يلجأون إلى حيل خفية ماكرة ، ومن ذلك : قوله تعالى عنهم : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [(٣)] والمكر هو : إيصال المكروه بطريقة خفية ، واليهود حين أرادوا قتل المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ؛ لأن عادتم قتل الأنبياء ، فأرادوا أن يقتلوا المسيح عليه السلام ، فذهبوا إلى ملك كافر وثني فقالوا له : إن هذا الرجل سيغير حكمك إن تركته ، فأرسل هذا الملك جماعة لقتل المسيح ، ودخلوا عليه في مكانه يريدون قتله ، ولكن الله جلا وعلا مكر لنبيه ، فألقى شبه المسيح على رجل من أتباعه قدم نفسه لذلك يريد الأجر من الله ، حتى صار كأنه المسيح ، فأخذوه وقتلوه وصلبوه على الخشبة ، يظنون أنه المسيح ، ورفع الله المسيح إليه من بينهم وهم لا يشعرون ؛ ولهذا يقول جل وعلا : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٥٤ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٧٢ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٥٤ .
(٤) سورة النساء آية : ١٥٧ .

....

هذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ (1) ، وهذا من باب المقابلة والمازاة ، وهو عدل منه سبحانه وتعالى ، بخلاف مكر المخلوق فإنه ظلم ؛ لأنه بغير حق .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ ﴾ (2) وهذا من مكر اليهود أيضا ، لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، وظهر أمر الله سبحانه وتعالى ، وانتصر على المشركين في غزوة بدر ، يوم الفرقان ، ولما عجز اليهود عن صد الناس عن دين محمد ﷺ لجأوا إلى حيلة ومكر ، فقال جماعة منهم : أسلموا في أول النهار ، وإذا صار آخر النهار ارتدوا عن الإسلام ، وقولوا : ما وجدنا في دين محمد صلاحية ، فإن الناس سيتبعونكم ؛ لأنكم أهل كتاب ، **ويقولون :** لولا أنم ما وجدوا صلاحية في دين محمد لما خرجوا منه ، فيقلدونكم . فكشف الله خطتهم بقوله : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ (3) يعني : أول النهار ، فوجه الشيء : أوله ومقدمه .

وكل من لجأ إلى الحيل لتغيير شرع الله ، والإضرار بأوليائه ، فإنه على طريقة أهل الجاهلية ، وكل من صانع أهل السنة وأهل التوحيد للوصول إلى غرض من أغراضه الدنيئة ، فهو على طريقة أهل الجاهلية .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٥٤ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٧٢ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٧٢ .

المسألة الرابعة والخمسون : الإقرار بالحق للتوصل إلى دفعه

(الإقرار بالحق ، ليتوصلوا به إلى دفعه ، كما قال في الآية) .

الشـرح

مما عليه أهل الجاهلية : الإقرار بالحق ، لا اقتناعا به ، وإنما ليتوصلوا إلى دفعه ، مثل ما حصل من اليهود في قولهم : ﴿ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [1] ، وسبق بيان ذلك .

وهذه مكيدة لا تزال تحاك للمسلمين ممن يندسون في صفوفهم من أعدائهم ، ويتظاهرون بقبول الحق ، يريدون قلب الإسلام وإفساده ، وهذا وقع في عصر النبي ﷺ وهو مستمر إلى وقتنا هذا ، وإلى أن يشاء الله جل وعلا ، يندس أناس من أعداء الإسلام ويتظاهرون بالإسلام من أجل إفساد الإسلام ، ومن أجل بث الشبه بين المسلمين وتفريق الكلمة ، وإلقاء العداوة بين المسلمين وتقطيعهم إلى أحزاب وإلى جماعات ، وهذا من كيد الأعداء ومكرهم .

فيجب على المسلمين أن يتنبهوا لهذا المكر الخبيث ، وأن لا يمنحوا الثقة لكل ما هب ودب ، بل عليهم أن يجربوا الناس تجربة صادقة ، ويختبروهم اختبارا دقيقا ، فإذا ثبت صدقهم منحوهم الثقة .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧٢ .

المسألة الخامسة والخمسون : تعصبهم لما هم عليه من الباطل

(التعصب للمذهب ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ [(١)]) .

الشـرح

التعصب الممقوت للشيء هو : التمسك به ، مع العلم ببطلانه .

ومن مسائل أهل الجاهلية : التعصب للمذهب الباطل ، ولهذا قالت اليهود : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ [(٢)] وفي الآية الأخرى : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ [(٣)] أي على أنبيائنا فقط ، والواجب أن يؤمنوا بما أنزل الله على أنبيائهم ، وعلى غيرهم من الأنبياء ، مع أنهم لا يؤمنون بما أنزل على أنبيائهم ، ولهذا قال : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ [(٤)] أي هل فيما أنزل الله عليكم قتل الأنبياء الذي تفعلونه ؟

ومن ذلك : تعصب أتباع المذاهب لمذاهبهم من غير دليل ، فالواجب على المسلمين عموما - وعلى طلبة العلم - أن يتبعوا الحق ، سواء كان في مذهبهم ، أم في مذهب غيرهم ، فنحن لا نأخذ المذهب بكل ما فيه من إصابة وخطأ ، بل نأخذ الصواب ونترك الخطأ ، فإذا كنت حنبليا ورأيت الصواب في مسألة من المسائل مع المالكي ، أو مع الحنفي ، أو مع الشافعي ، خذ بقول المالكي أو الشافعي أو الحنفي ، وإن كان خلاف مذهبك ؛ لأن هدفك الحق ، والعبرة بما قام عليه الدليل ، هذا هو الواجب ، هذا إن كنت من أهل العلم ، أما إن كنت لست من أهل العلم . فعليك أن تسأل أهل العلم الموثوقين ، فما أفتوك به أخذت به ، هذا هو طريق الصواب ، أما التعصب للمذهب ، سواء كان حقا أم باطلا ، فهذا من أمور الجاهلية ، كما ذكر الله عن اليهود .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧٣ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٧٣ .
(٣) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٤) سورة البقرة آية : ٩١ .

المسألة السادسة والخمسون : تسميتهم التوحيد شركا

(تسمية اتباع الإسلام شركا ، كما ذكره في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [1] **الآية) .**

الشـرح

من مسائل أهل الجاهلية : تسمية التوحيد واتباع الحق : شركا ، وهذا من قلب الحقائق ، أن يسموا التوحيد شركا ؛ وهذا لانتكاس الفطر ، وهذه الآية نزلت في وفد نجران من النصارى ، جاءوا إلى النبي ﷺ يتفاوضون معه عليه الصلاة والسلام ، فدخلوا عليه في المسجد ، وأخذوا يتفاوضون معه ، فالنبي ﷺ عرض عليهم الدخول في الإسلام ، وبين لهم أن الأنبياء جميعا أخذ عليهم الميثاق لئن بعث محمد ﷺ وأحد منهم حي ليتبعنه ، قال واحد منهم : أتريد يا محمد أن نعبدك ؟ سمى اتباع الحق شركا ، وعبادة للرسول ﷺ فأنزل الله قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [2] . . . ؛ لأن الأنبياء جاءوا بالتوحيد ، ولم يجيئوا بالشرك ، وما جاءوا بدعوة الناس إلى عبادتم ، حاشا وكلا ، بل جاءوا بإنكار ذلك ، لكن هؤلاء من تعصبهم قالوا هذه المقالة ، فأنزل الله هذه الآية ، ردا عليهم .

وما أشبه الليلة بالبارحة ! فهناك من يسمون إخلاص العبادة لله كفرا ، وخروجا عن الدين ، ويسمونه شركا ، **ويقولون :** عبادة القبور هي التوحيد ، وهي الإسلام ؛ لأنا توسل بالصالحين ومحبة لهم ، وعندهم أن الذي لا يعبد الرسول ﷺ ولا يستغيث به ، يكون مبغضا للرسول ﷺ ويكون جافيا في حق الرسول ﷺ . وهذا مثل قول نصارى نجران في اتباع الرسول أنه عبادة للرسول ﷺ وهذا امتداد لمذهب أهل الجاهلية ، كل سمى الحق باطلا ، والباطل حقا ، والعياذ بالله .

والجهمية والمعتزلة سموا إثبات الصفات لله ﷻ شركا ؛ لأنا بزعمهم تقتضي تعدد المسمى والموصوف .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧٩ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٧٩ .

المسألتان السابعة والثامنة والخمسون
التحريف ولي الألسنة في كتاب الله

(تحريف الكلم عن مواضعه ، ولي الألسنة بالكتاب) .

الشـرح

تحرف الكلم عن مواضعه ، هو : تغيير حروفه ، أو صرفه عن معناه ، فأهل الكتاب من حرفتهم الخبيثة : أنم يحرفون الكلم عن مواضعه إما بتغيير ألفاظه ، وإما بتغيير معانيه ، وتفسيره بغير تفسيره ، فكل من حرف كلام الله فإنه على مذهب أهل الجاهلية ، وكل أهل الباطل والمخالفين للإسلام من الفرق الضالة المنتسبة إلى الإسلام تحرف النصوص ؛ لتوافق مقاصدها ومذاهبها ، سواء حرفوا الألفاظ ، أو حرفوا المعاني وفسروها بغير تفسيرها ، فهذا من ميراث أهل الجاهلية .

والواجب الإيمان بما أنزل الله سبحانه وتعالى بألفاظه ومعانيه ، والعمل بمقتضاه ، من غير تغيير وتحريف ، هذا هو الواجب ، سواء وافق هواك ورغبتك أم خالفهما .

والآن أصحاب المبادئ الخبيثة والمذاهب الباطلة يلوون أعناق النصوص الواردة الصحيحة عن الرسول ﷺ ويفسرونا بغير تفسيرها ، إذا عجزوا عن ردها وتكذيبها ، وهذه طريقة من طرائق أهل الجاهلية ، ومن طرائق اليهود . والواجب على المؤمن أن يحترم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيؤمن بما لفظا ومعنى ، على ما أراده الله وأراده رسوله ﷺ ولا يحرف النصوص عن معانيها ، ولا يغير الألفاظ عما جاءت بزيادة أو نقص ، أو دس للباطل .

المسألة التاسعة والخمسون
تلقيبهم أهل الحق بالألقاب المنفرة

(تلقيب أهل الهدى والصواب بالصابئة والحشوية) .

الشـــرح

من مناهج أهل الجاهلية : احتقارهم لأهل الهدى ، وتلقيبهم بالألقاب الشنيعة المنفرة ، يقولون : صابئة ، والصابئ هو : الخارج عن الدين ، فيسمون أهل الحق بالصابئة الخارجين عن الحق ؛ لأن الحق في عرفهم ما كانوا عليه من الكفر والضلال ، فمن اتبع الرسول فهو صابئ ، أي خارج عن عاداتهم وتقاليدهم ومذهبهم ونظامهم وما وجدوا عليه آباءهم . ويسمونه : حشويا ، من الحشو ، وهو الشيء الذي لا فائدة منه ، وحشو الكلام هو : الكلام الذي ليس فيه فائدة .

ويسمونهم سطحيين ومتأخرين وجامدين ، إلى غير ذلك من الألفاظ .

لكن هذا لا يضر أهل الحق ، فقوم نوح قالوا : ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ [1] أي : سطحيون ، ما عندهم تفكير ، اتبعوك على غير تفكير ، أما العقلاء والذين عندهم رزانة فلم يتبعوك .

(١) سورة هود آية : ٢٧ .

المسألتان الستون والحادية والستون
افتراء الكذب على الله والتكذيب بالحق

(افتراء الكذب على الله والتكذيب بالحق) .

الشـرح

افتراء الكذب على الله وعلى رسول الله ﷺ والتكذيب بالحق ، من طريقة أهل الجاهلية ، مثل ما قالوا - لما كانوا يطوفون بالبيت عراة - قالوا عن هذه الوقاحة : ﴿ وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ [1] وهذا من الكذب على الله ، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [2] ، ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [3] ، ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [4] ، ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [5] .

وكذلك الذين يفترون الكذب على الرسول ﷺ أنه جاء عنه كذا من الأحاديث ، وهي كذب ، والذي يحدث بذا من غير توثق ومن غير تثبت ، يكون أحد الكاذبين ، ولهذا جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال : ﴿ من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ﴾ [6] [7] .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٨ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٢١ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٧٨ .

(٤) سورة النحل آية : ١٠٥ .

(٥) سورة النحل آية : ١١٦ .

(٦) مسلم مقدمة (١) ، الترمذي العلم (٢٦٦٢) ، ابن ماجه المقدمة (٤١) ، أحمد (٤/٢٥٥) .

(٧) أخرجه مسلم في المقدمة باب (رقم١) وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والتحذير من الكذب على رسول الله .

....

وهذا من حرفة أهل الجاهلية أنم يفترون على الله الكذب ، حيث زعموا أن الله أمرهم بكشف العورة في الطواف ، وحرموا ما أحل الله ، وزعموا أن الله شرع لهم هذا ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ ﴾ [1] ، ﴿ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا ﴾ [2] ، ﴿ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ ﴾ [3] ، وهذا كله كذب على الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الله جل وعلا أرسل الرسل لإنكار ما هم عليه .

فالحاصل : أن نسبة الكذب إلى الله ورسوله ﷺ هي من أمور أهل الجاهلية ، فعلى المسلم أن يحذر من هذا العمل الخبيث ، وقد لا يكذب هو على الله ، لكن لا يتحرى في نقل الأمور عن الله وعن رسوله ، والفتاوى لا يتحرى فيها ، فإذا كان ما نقله خطأ ، وهو لم يثبت فيه ، ونشره على الناس ، فإنه يصير أحد الكاذبين ، ويصير قد ضر الناس بذا الشيء الذي نقله لهم ونشره بينهم .

والواجب أن الأحاديث الموضوعة المكذوبة لا تروج ، ولا تروى ، بل تحاصر وتضايق ، وأن الوعاظ والدعاة يتثبتون فيما يقولون عن الله ورسوله . كذلك في أمور الحلال والحرام والفتوى ، عليهم أن يتثبتوا في شأنا ، وألا يتعجلوا فيها ؛ لأن الخطأ فيها قول على الله بغير علم . وكذلك التكذيب بالحق الثابت عن الله ورسوله ، لا يقل في الجريمة عن الكذب على الله ورسوله ، كما قال تعالى : ﴿ ۞ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ ﴾ [4] ، وذلك أنه إذا لم يوافق هواه ، حاول رده بالتكذيب والتشكيك فيه ، كفعل أهل الأهواء .

---

(١) سورة النحل آية : ٣٥ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .
(٣) سورة الزخرف آية : ٢٠ .
(٤) سورة الزمر آية : ٣٢ .

المسألة الثانية والستون : استنفار الملوك ضد أهل الحق

(كونهم إذا غلبوا بالحجة ، فزعوا إلى الشكوى للملوك ، كما قالوا : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [1] .

الشـرح

من مسائل أهل الجاهلية : أنم كانوا إذا غلبوا بالحجة ، لجأوا بالشكوى إلى السلطان ، ومعنى " غلبوا بالحجة " أي : أقيمت عليهم الحجة على بطلان ما هم عليه ، ولم يكن لهم حجة يقاومون با ، فإنم يلجئون إلى القوة لمنع القائم بالحق ، كما قال فرعون لموسى عليه السلام : ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2] لما لم يكن عنده حجة يرد با على نبي الله ، لجأ إلى قوة السلطان فقال : ﴿ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [3] ، وهذه طريقة المهزومين ، وكذلك آل فرعون وهم أتباعه ، لما انتصر عليهم موسى - عليه السلام - في المحفل العظيم الذي عقدوه ، وجمع فرعون السحرة من مشارق الأرض ومغاربا ؛ لأجل أن يبطل ما مع موسى من الآيات ؛ لأنه يزعم أنه ساحر ، فجمع السحرة ، وطلب من موسى تحديد الموعد ، من أجل عرض ما معه وما مع السحرة ، من أجل أن يموه على الناس أن عنده ما يقاوم ما مع موسى من المعجزة .

فلما حان الموعد واجتمع الناس من أجل مشاهدة ما يحصل ، وألقى السحرة ما معهم من السحر ، وامتلأ الوادي من سحرهم ، وما معهم من العصي والحبال التي حشوها بالزئبق ، وبمواد تحركها كأنا حيات ، يريدون أن يضاهئوا ما مع موسى من المعجزة ، وهي الحية التي تتحول من العصا التي معه ، فجاءوا بسحر عظيم ، كما قال الله تعالى ،

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٢٧ .

(٢) سورة الشعراء آية : ٢٩ .

(٣) سورة الشعراء آية : ٢٩ .

....

حتى إن موسى - عليه السلام - خاف ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾[1] خاف أن يلبسوا على الناس ، وإلا فهو واثق بما معه ، واثق بنصر الله ، لكنه خاف أن يلبسوا على الناس ؛ لأنهم جاءوا - كما قال الله - : ﴿ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[2] .

فأمر الله موسى - عليه السلام - بإلقاء العصا ، فألقاها ، فصارت حية عظيمة ، ابتلعت كل ما ألقوه ، حتى خافوا أن تصل إليهم ، وناشدوا موسى أن يمسكها عنهم ؛ لأنهم خافوا أن تصل إليهم ، وعند ذلك حصل النصر لموسى ، قال الله تعالى : ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ۝ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[3] ؛ لأنهم عرفوا أن ما مع موسى ليس سحرا ، فلما آمن السحرة وسجدوا لله ﷻ هددهم فرعون بالقتل والصلب ، فقتل السحرة الذين آمنوا وتابوا إلى الله وصلبهم .

ثم التفتوا إلى بني إسرائيل الذين آمنوا بموسى وقالوا لفرعون : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ۝ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4] .

الشاهد من هذا : أنهم طلبوا منه اللجوء إلى القوة ، واشتكوا إلى فرعون ليقهر هذا الحق وهذا الإيمان وهذا فعل أشباههم في كل زمان ومكان .

---

(١) سورة طه آية : ٦٧ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١١٦ .

(٣) سورة الأعراف الآيات : ١١٨ - ١٢٢ .

(٤) سورة الأعراف الآيتان : ١٢٧ - ١٢٨ .

المسائل من الثالثة والستين إلى السابعة والستين
رميهم أهل الحق بما هم برآء منه

(رميهم أهل الحق بالصفات الذميمة رميهم إياهم بالفساد في **الأرض كما** في **الآية ، وبانتقاص دين الملك وآلهته ، وتبديل الدين) .**

الشـرح

من مناهج أهل الجاهلية كذلك : أنهم لا يكتفون بالشكوى إلى أصحاب القوة ، والانتقام ؛ بل يصفون أهل الإيمان بالمفسدين في الأرض ، كما قالوا لفرعون : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [1] سموا الإصلاح إفسادا . والحق هو العكس ؛ أن الإيمان والتوحيد : إصلاح في الأرض ، وأن الكفر والمعاصي والفسوق والظلم والطغيان : إفساد فيها ، فالذي عليه موسى وقومه إصلاح ، والذي عليه فرعون وقومه إفساد ، لكنهم عكسوا الأمر ، فسموا الإصلاح إفسادا ، وهذا دأب الكفار والمشركين والمنافقين دائما ، يسمون المصلحين والدعاة إلى الله على بصيرة ، ويسمون المؤمنين الموحدين الذين يدعون إلى توحيد الله وعبادته ، يسمونهم بالمفسدين في الأرض .

وهذا شيء مستمر في الناس إلى يوم القيامة ، أهل الكفر والظلم والطغيان يسمون المصلحين بالمفسدين ، وهذا منحدر من القرون الأولى من وقت فرعون وقومه ، وهذا لا يضر أهل الإيمان ، ولا يضر أهل الإصلاح ، وإن لقبوا بما لقبوا ، فكم لقبوا أهل الحق والدعاة إلى الله بالشناعات ، لقبوا شيخ الإسلام ابن تيمية بألقاب شنيعة ، ولقبوا الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بألقاب شنيعة ، وأنه خارجي ، وأنه يريد أن يغير عقيدة الناس ، ويكفر الناس ، إلى آخر ما يقولون ، مما هو موجود في كتبهم من الاتهامات والتزوير والشر ، وهذا موقفهم من كل مصلح .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٢٧ .

....

وأما رميهم إياهم بانتقاص دين الملك ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [1] الآية ، وكما قال تعالى : ﴿ إِنِّيَ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ [2] .

مما عليه أهل الجاهلية - ومن تشبه بم - : وهو تحريض أصحاب السلطة على المؤمنين والدعاة إلى الله على بصيرة ومنهج سليم بأنم يفسدون على أصحاب السلطة دينهم وسياستهم ، إذا نصحوهم وأرشدوهم إلى ما فيه صلاحهم وصلاح ملكهم ، كما قال تعالى حكاية عن آل فرعون ، وما سعوا به عند فرعون من الوشاية ، لما دعاه موسى - عليه السلام - إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، التي فيها صلاحه وصلاح ملكه وصلاح رعيته ، وقالوا له : إنم سيفسدون الناس عليك ، ولا يكون لك ربوبية ولا إلهية على الناس ، ويحولون الناس من عبادتك إلى عبادة الله . وهذا من باب إغراء فرعون بأنه إن ترك هؤلاء فإنم سيصرفون الناس عن عبادته وربوبيته ؛ لأنه قال لهم : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [3] ، وفي الآية الأخرى : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [4] ففسروا دعوة الرسل بأنا إفساد في الأرض ، وأن الكفر إصلاح في الأرض ، وهذا من قلب الحقائق ، ومن الغش للراعي والرعية ، وما أكثر هذا الصنف الذي يقوم بذه المهمة الشيطانية اليوم ، ممن يقودون الناس إلى الهاوية ، ويقفون في وجه المصلحين ، ويزورون الحقائق ، ويغررون بالسلطة ، وهم بطانة السوء ، الذين يحولون بين المسئولين وبين قبول النصيحة .

اللهم أصلح ولاة أمور المسلمين ، وأصلح بطانتهم ، واجعلهم هداة مهتدين .

وأما رميهم إياهم بانتقاص آلهة الملك ، كما في الآية .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٢٧ .

(٢) سورة غافر آية : ٢٦ .

(٣) سورة النازعات آية : ٢٤ .

(٤) سورة القصص آية : ٣٨ .

....

فإن هذه المسألة تابعة لما قبلها مما ذكر الله في الآية من خبر آل فرعون ، حيث قالوا له : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ ﴾ (1) يعنون : ألوهيتك على الناس وعبادتهم لك ، **يقولون :** أنت لك شأن ، ولك عظمة في الأرض ، فلو تركتهم يدعون إلى الله تنقصوك عند الناس ، وأرخصوك عند الناس ، فأنت بادر بالقضاء عليهم من أجل أن تبقى لك هيبتك ومكانتك . وهذا من الغش لفرعون ، وتعريضه للهلاك .

ويا سبحان الله ! يتنقصون الله جل وعلا رب السماوات والأرض ، ولا يعيبون هذا على أنفسهم ، ويعيبون على موسى وقومه إذا نصحوا فرعون وقومه ، ودلوهم على طريق السعادة والنجاة ، وبقاء الملك وصلاحه ؟ ! وهكذا تفعل بطانة السوء دائما وأبدا ، ولهذا على الولاة أن يتخذوا البطانة الصالحة الناصحة ، ويحذروا من بطانة السوء وأصحاب المبادئ الهدامة ، والأفكار المنحرفة ، فإنهم يقودونهم إلى الهاوية ، كما حصل من بطانة فرعون ، حيث أوقعوه في الهلاك والبوار ، وحالوا بينه وبين قبول الحق .

وأما رميهم إياهم بتبديل الدين ، كما قال تعالى عن فرعون : ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (2) ورميهم إياهم بانتقاص دين الملك ، كقولهم : ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ ﴾ (3) .

فهاتان المسألتان حصلتا من فرعون في حق كليم الله موسى - عليه السلام - ودعوته ، وتحذيره للناس من قبولها ، وتظاهره بمظهر الناصح للرعية ، جاءهم عن طريقة النصيحة والمحافظة على الدين ، والمحافظة على صلاح الأرض ، ﴿ أَوْ أَن يُظْهِرَ

(1) سورة الأعراف آية : 127 .
(2) سورة غافر آية : 26 .
(3) سورة الأعراف آية : 127 .

....

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [1] كما قال أتباعه : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [2] ، سموا المصلحين بالمفسدين ، والفساد عندهم هو التوحيد وإفراد الله بالعبادة ، والصلاح هو الشرك ؛ لأن القلوب إذا فسدت رأت الحق باطلا ، والباطل حقا .

ومن هو الذي يبدل الدين ويظهر في الأرض الفساد ؟ إنه فرعون الذي بدل دين التوحيد بالكفر والشرك .

أما موسى - عليه الصلاة والسلام - ، فإنه يدعو إلى الدين الصحيح ، الذي خلق الله الخلق من أجله ، والذي هو صلاح في الأرض ؛ لأن الأرض لا تصلح إلا بعبادة الله وحده لا شريك له ، وهذا هو صلاح الأرض ، أما الشرك فإنه فساد في الأرض ، والكفر فساد في الأرض ، والمعاصي فساد في الأرض .

---

(١) سورة غافر آية : ٢٦ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٢٧ .

المسألة الثامنة والستون : مدحهم أنفسهم بما ليس فيهم

(دعواهم العمل بما عندهم من الحق كقوله : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ [١] مع تركهم إياه) .

الشــرح

من مسائل أهل الجاهلية : دعوى اليهود العمل بما عندهم من الحق ، مع تركهم إياه ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ [٢] ، ﴿ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ [٣] قيل : معناه : بما أنزل على رسلنا من أنبياء بني إسرائيل ؛ لأن هذه الآية في اليهود ﴿ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ [٤] أي : ما أنزل على رسل بني إسرائيل ، مع أن الذي جاء به محمد ﷺ لا يخالف ما جاءت به رسلهم ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ [٥] يعني : غيره ، مما أنزل على عيسى ومحمد ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [٦] فالذي جاء به عيسى ومحمد ﷺ هو موافق لما جاء به أنبياؤهم من الحق ، ومبين لما أدخلوه في كتابهم من التحريف والتكذيب والتضليل ، هذا من ناحية .

والناحية الثانية : أنهم غير صادقين في هذه المقالة ، بدليل ارتكابهم هذه الجرائم المذكورة في قوله تعالى ردا عليهم ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [٧] هذا رد عليهم ، فالله رد عليهم بردين :

---

(١) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٢) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٣) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٤) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٥) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٦) سورة البقرة آية : ٩١ .
(٧) سورة البقرة الآيتان : ٩١ - ٩٢ .

....

الرد الأول : أن ما جاء به محمد ﷺ لا يخالف ما جاء به موسى من توحيد الله وإفراده بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه ؛ بل هو مصدق لذلك .

والأمر الثاني : أنهم غير صادقين حتى فيما ادعوا أنهم يؤمنون به ، حيث عبدوا العجل ، وقتلوا الأنبياء ، وقولهم : ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ (1) وعدم وفائهم بالميثاق الذي أخذ عليهم ، وهذا يتناول كل تعصب مذموم ، أن يقول الإنسان : أنا لا أعمل إلا بما هو في مذهبي ، أو مذهب إمامي ؛ لأنه يجب على المسلم أن يتبع الحق في مذهبه أو في غير مذهبه ، مع إمامه أو مع غيره ، يقبل الحق ولا يتعصب التعصب المذموم .

(1) سورة البقرة آية : ٩٣ .

المسألتان التاسعة والستون والسبعون

زيادتهم في العبادة على ما شرعه الله ونقصهم منها

(الزيادة في العبادة ، كفعلهم يوم عاشوراء . ونقصهم منها ، كترك الوقوف بعرفات) .

الشـرح

أما زيادتهم في العبادة : فكما يفعلون في يوم عاشوراء ، وهو اليوم العاشر من شهر الله المحرم ، وهذا اليوم حصل فيه حدث عظيم ، هو إغراق فرعون وقومه ، وإنجاء موسى - عليه السلام - وقومه ، فهو يوم انتصر فيه الحق على الباطل ، وصامه موسى - عليه الصلاة والسلام - ؛ شكرا لله ، وبقي صيامه مشروعا عند المسلمين ؛ لأنه لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وجد اليهود يصومون هذا اليوم ، فسألهم : لماذا يصومونه ؟ فقالوا : إنه يوم نجى الله فيه موسى وقومه ، وأهلك فيه فرعون وقومه ، وصامه موسى ونحن نصومه ، فقال - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ نحن أحق بموسى منكم ﴾ (١) (٢) فصامه ﷺ وأمر بصيامه ، وأمر بصوم يوم قبله أو يوم بعده ؛ مخالفة لليهود .

هذا هو المشروع في يوم عاشوراء ، وهو الصيام ، لكن أهل الجاهلية يزيدون فيه على الصيام ، فاليهود يجعلونه يوم عيد يزينون فيه بيوتهم ، ويزينون فيه أولادهم ونساءهم ، ويعتبرونه يوم عيد ، فهم زادوا فيه على المشروع ، فالزيادة على الصيام في يوم عاشوراء من دين الجاهلية .

وكذلك الرافضة ، زادوا في هذا اليوم واعتبروه يوم حزن ، ويوم نياحة وندب ؛ لأنه اليوم الذي قتل فيه الحسين - رضي الله عنهما - .

---

(١) البخاري المناقب (٣٧٢٧) ، مسلم الصيام (١١٣٠) ، ابن ماجه الصيام (١٧٣٤) ، أحمد (٣١٠/١) ، الدارمي الصوم (١٧٥٩) .

(٢) (أخرجه البخاري (رقم ٢٠٠٤ ، ٣٩٤٢ ، ٣٩٤٣) ومسلم (رقم ١١٣٠ ، ١١٣١)) .

....

وأما نقصهم من العبادة ، فكما حصل منهم في الحج ، فقد كانوا في الجاهلية يحجون البيت لأنه من بقايا دين إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ، لكن أدخلوا في الحج تغييرات وشركيات ؛ لأن الله شرع الوقوف بعرفة ، فصاروا لا يقفون بعرفة ، بل يقفون في مزدلفة ، وهذا نقص في العبادة . ولما حج النبي ﷺ كانوا يظنون أنه سيقف معهم في مزدلفة ، فتجاوز - عليه الصلاة والسلام - إلى عرفة ، ووقف في عرفة ، وأعاد الحج على ملة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [1] يعني : من عرفة . وهذا رد على المشركين في وقوفهم بالمزدلفة ، وكذلك زادوا في التلبية قولهم : (إلا شريكا هو لك . تملكه وما ملك) .

وهكذا كل من نقص شيئا من العبادة ، فإنه على دين أهل الجاهلية ، وكذلك من زاد في الدين ، فإنه على دين أهل الجاهلية ، فالبدع والخرافات كلها من دين الجاهلية .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٩ .

المسألة الحادية والسبعون : تركهم ما أوجب الله عليهم من باب الورع

(تركهم الواجب ورعا) .

الشــرح

أي : يتقربون إلى الله بترك الواجب ، مثل الوقوف بمزدلفة ، بدل الوقوف بعرفة ؛ يزعمون أنه ورع ؛ لأنهم أهل الحرم ولا يخرجون إلى عرفة ؛ لأنها من الحل ، فهم يتركون الحق تورعا ، وهذا من عمل الجاهلية ، نسأل الله العافية .

وكذلك من تركهم الحق تورعا : أنهم يطوفون بالبيت عراة ، ويتركون ستر العورة - الذي هو الحق - من باب الورع ، يقولون : لا نطوف بثياب عصينا الله فيها [1] .

وكذلك كل من ترك شيئا من العبادة تورعا ، كمن لا يتصدق ولا يصلي مع الجماعة في المسجد ، خشية الرياء والسمعة - كما سمعنا عن بعضهم - أو لا يطلب العلم ، أو غير ذلك من ترك العبادات خشية الرياء .

(١) قال عروة : " كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحمس ، والحمس قريش وما ولدت ، وكانت الحمس يحتسبون على الناس يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عريانا . . " . أخرجه البخاري (رقم ١٦٦٥) ومسلم (رقم ١٥٢/١٢١٩) وأخرجه البخاري في كتاب الصلاة (باب رقم٢) وأمر النبي أن لا يطوف بالبيت عريان . وكذا (رقم ٣٦٩) ومسلم (١٣٤٧)) .

المسألتان الثانية والثالثة والسبعون

تقربهم إلى الله بترك الطيبات من الرزق وبترك الزينة

(تعبدهم بترك الطيبات من الرزق ، وترك الزينة في اللباس) .

الشـرح

أي : تقربهم إلى الله بترك الطيبات من الرزق ، وترك لباس الزينة ، وهذا عند النصارى ومن شابههم من الصوفية المنتسبين للإسلام ، يتركون الطيبات تعبدا لله ﷻ فلا يتزوجون النساء ، ولا يأكلون من الطيبات ، ويتقشفون في المآكل والمشارب والملابس ، يزعمون أن هذا عبادة لله ؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ [1] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [2] .

وكذلك حرموا بعض بيمة الأنعام ، والله قد أباح بيمة الأنعام ، فقال : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [3] ، فحرموا بعض بيمة الأنعام من أجل أصنامهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [4] .

فتحريم الطيبات من دين النصارى الرهبان ، ومن دين الجاهلية ، ومن حرم حلالا مجمعا على حله ارتد عن دين الإسلام ، فإذا أضاف إلى ذلك اعتبار هذا من التعبد لله ﷻ فهذا افتراء على الله ؛ لأن الله لم يشرع لعباده ترك الطيبات بل أمرهم بالأكل منها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٢ .

(٢) سورة المائدة آية : ٨٧ .

(٣) سورة المائدة آية : ١ .

(٤) سورة المائدة آية : ٨٧ .

....

ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾ [(١)] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [(٢)] . ولما هم جماعة في عهد النبي ﷺ بمثل هذا ، غضب عليهم النبي ﷺ .

وأما تعبدهم بترك زينة الله : أي : تقربهم إلى الله بترك زينة الله ، أي التزين باللباس ، حيث كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ [(٣)] أي : ما هو دليلكم على ما تفعلون من ترك اللباس والتجمل وترك الطيبات من الرزق ؟ لأن التحريم يحتاج إلى دليل ، والأصل في اللباس والمآكل والمشارب الحل ؛ لأن الله خلق هذه الأشياء لعباده ، وكما في الحديث الصحيح : ﴿ إن الله جميل يحب الجمال ﴾ [(٤)] [(٥)] فترك التجمل من باب الورع ليس من دين الإسلام ، فليتجمل باللباس ، وليأكل من الطيبات ، ويشكر الله ﷻ وفي الحديث : ﴿ إن الله يحب إذا أنعم على عبد نعمة أن يرى أثر نعمته عليه ﴾ [(٦)] [(٧)] لكن يكون ذلك من غير إسراف ولا مخيلة ، وكان النبي ﷺ يتجمل في جسمه وفي ملابسه ، ويخص مقابلة الوفود بمزيد تجمل .

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٥١ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٧٢ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٣٢ .
(٤) مسلم الإيمان (٩١) ، الترمذي البر والصلة (١٩٩٩) ، أحمد (٣٩٩/١) .
(٥) (أخرجه مسلم (رقم ١٤٧/٩١)) .
(٦) الترمذي الأدب (٢٨١٩) .
(٧) (أخرجه الترمذي (١٢٣/٥-١٢٤ رقم ٢٨٢٤) وقال : هذا حديث حسن) .

المسألة الرابعة والسبعون : دعوتم الناس إلى الضلال

(دعوتهم الناس إلى الضلال بغير علم) .

الشـرح

الدعوة إلى الله بغير علم هي من عمل أهل الجاهلية ؛ لأن الله أمر بالدعوة إلى سبيله على بصيرة ، وبالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن .

فدعوتم الناس إلى الضلال ، أي : ترغيب الناس في مخالفة الحق قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾ [1] فيدعونم إلى الشرك ، وإلى تحريم الحلال وتحليل الحرام بغير حجة ، ويدعونم إلى أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ، فهؤلاء دعاة ضلال ، والدعاة إلى الحق هم الذين يدعون إلى ما أنزل الله سبحانه وتعالى ، وإلى ما شرع .

ومن دعاة الضلال اليوم : الذين يدعون الناس إلى الشرك ، وعبادة الأضرحة والقبور ، ويدعون الناس إلى البدع والمحدثات في الدين ، التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ويكتبون ويؤلفون ويتكلمون بدعوة الناس إلى إحياء البدع والمحدثات ، والذين يدعون الناس إلى الإباحية والفسوق والعصيان ، كل هؤلاء دعاة ضلال ، حذرنا الله سبحانه وتعالى منهم ومن طريقتهم ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ

(١) سورة العنكبوت آية : ١٢ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٤٩ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٠ .

....

﴿ إِلَى ٱلْجَنَّةِ ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [2] ، فبين سبحانه أن الكفار على اختلاف مللهم قديما وحديثا جادون في الدعوة إلى الضلال في كل زمان وفي كل مكان ، كما قال تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ ﴾ [3] .

(١) سورة البقرة آية : ٢٢١ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١١٦ .
(٣) سورة النساء آية : ٨٩ .

المسألة الخامسة والسبعون : دعوتم الناس إلى الكفر مع العلم

(دعوتم إياهم إلى الكفر ، مع العلم) .

الشـرح

وهذا صنف آخر من دعاة الضلال ، وهم الذين يدعون إلى صرف الناس عن الحق مع معرفته ؛ بغيا وعنادا ، والصنف الأول يدعون الناس إلى الباطل وهم لا يعرفون الحق ، وكلا الصنفين خطير وهم لا يقولون للناس : اكفروا ، وإنما يأتونم بطريقة مزخرفة ، ظاهرها أنا حسنة وباطنها كفر ، هكذا دعاة الضلال ، وإبليس جاء إلى قوم نوح لما وجدهم قد حزنوا على الصالحين الذين ماتوا ، جاءهم بطريق دين ، وقال : صوروا صورهم من أجل إذا رأيتموها أن تنشطوا على العبادة ، وتذكروا أحوالهم وصلاحهم ودينهم فينشطونكم على العبادة . فهو جاءهم بطريق النصيحة ، وطريق الدين ، وهو يريد أن هذه الصور تكون أصناما في النهاية ، فكانت أصناما ، لما مات أهل العلم ومات هذا الجيل ، جاء جيل جاهل بعدهم ، فقال الشيطان : إن آباءكم ما نصبوا هذه الصورة إلا ليعبدوها ، وبا كانوا يسقون المطر ، فعبدوها من دون الله ﷻ .

وكذلك دعاة الضلال ، لا يأتون للناس بالدعوة إلى الشر المكشوف ، إنما يأتونم بطريقة مزخرفة يحسنونا للناس ، ثم في النهاية يحصل لهم مقصدهم ، ودعاة الضلال لما دعوا الناس إلى الشرك بعبادة الأضرحة لم يقولوا لهم : اعبدوها ، بل قالوا لهم : هؤلاء أولياء وصالحون ، لهم مكانة عند الله ، فأنتم تقربوا إليهم من أجل أن يقربوكم إلى الله ، ويكونوا وسائط ووسائل لكم عند الله ﷻ جاءوهم بذه الطريقة ، وهي محبة الصالحين واتخاذهم وسائل ووسائط عند الله ﷻ فعبدوا القبور والأضرحة بذه الخديعة الشيطانية ، وأشركوا بالله ﷻ .

فدعاة الكفر يدعون الناس بأساليب مختلفة ، لا يظهر عليها شيء من الانتقاد ، ولا يعرفها إلا أهل البصيرة ، وقد تبين من هاتين المسألتين أن دعاة الضلال على قسمين : قسم يدعو الناس بغير علم ، وقسم يدعو الناس إلى مخالفة الحق وهو يعلمه ، والأول ضال ، والثاني فاسق .

المسألة السادسة والسبعون
المكر الشديد لتثبيت الشرك ودفع الحق

(المكر الكبار ، كفعل قوم نوح) .

الشـرح

المكر : إيصال المكروه بطريقة خفية ، وهو نوعان : مكر حسن ، ومكر سيئ .

والمكر السيئ هو : الحيل الخفية لإيصال الشر لمن لا يستحقه ، قال تعالى في قوم نوح : ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ﴾ [1] والكبار هو : العظيم ، فهم يمكرون بالناس مكرا عظيما بهذه الحيل ، وهذه الطرق الخبيثة التي يدعونهم بها إلى الشرك ، وإذا جاءتهم دعوة التوحيد حذروهم منها ، وقالوا : هؤلاء يريدون أن يترأسوا عليكم ، ويريدون أن يتفضلوا عليكم .

فتحسين القبيح للناس ، وتقبيح الحسن هو المكر الكبار الذي لا يزال يزاوله دعاة الضلال قديما وحديثا ؛ لصرف الناس عن الحق إلى الباطل ، وإخراجهم من النور إلى الظلمات ، كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥٧ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢ ﴾ [3] أي : اتركهم وكذبهم ، ولا تلتفت إليهم . فهذا فيه النهي عن الإصغاء لدعاة الضلال ، إلا على سبيل معرفة باطلهم لرده .

(١) سورة نوح الآيات : ٢٢ - ٢٤ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٧ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١١٢ .

....

والمكر الحسن هو إيصال الضرر لمن يستحقه من طريق خفي عقوبة له ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ [1] ، ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [2] .

(١) سورة الأنفال آية : ٣٠ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٥٤ .

المسألة السابعة والسبعون : اقتداؤهم بمن لا يصلح للقدوة

(إن أئمتهم : إما عالم فاجر ، وإما عابد جاهل ، كما في قوله : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [1] **.**

الشـرح

قدوة أهل الجاهلية من اليهود والنصارى وغيرهم : إما عالم فاجر ، وهو الذي لا يعمل بعلمه ، مثل أحبار اليهود ، وإما عابد جاهل ، وهو العامل بغير علم ، مثل رهبان النصارى ، كما قال الله : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [2] يحللون لهم الحرام ، ويحرمون عليهم الحلال ، ويطيعونهم في ذلك ، وفي سورة البقرة يقول تعالى : ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [3] فقوله : ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ [4] هؤلاء هم العلماء الفجرة ، يسمعون كلام الله - وهو التوراة - ويعرفونه ويتعلمونه ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ [5] يغيرون ألفاظه ومعانيه ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [6] أي : من بعد ما عرفوا لفظه ومعناه الصحيح ، من أجل أهوائهم وأغراضهم وشهواتهم ، كما حصل منهم في قصة الزاني

---

(١) سورة البقرة الآيات : ٧٥ - ٧٨ .
(٢) سورة التوبة آية : ٣١ .
(٣) سورة البقرة آية : ٧٥ .
(٤) سورة البقرة آية : ٧٥ .
(٥) سورة البقرة آية : ٧٥ .
(٦) سورة البقرة آية : ٧٥ .

في عهد النبي ﷺ في المدينة ، حينما زنا رجل من اليهود بامرأة من اليهود ، فقالوا : اذهبوا إلى هذا الرجل - يعنون محمدا - ﷺ - ؛ لأنهم يعلمون أن التوراة فيها الرجم ، وهم لا يريدون الرجم ، لعله يحكم فيهما بحكم أسهل من الرجم ، فجاءوا إليه يطلبون منه الحكم على هذا الزاني وهذه الزانية ، فالرسول ﷺ قال : ﴿ ما تجدون في التوراة على من زنى ؟ (وفي رواية : ما تجدون في التوراة في شأن الرجم) قالوا : فيها أننا نسود وجوههم ، ونركبهم على حمير ، ونطوف بهم في الأسواق . فسأل النبي ﷺ عبد الله بن سلام (لأنه من أحبارهم ، وقد أسلم) قال : كذبوا يا رسول الله ، فطلب النبي ﷺ منهم التوراة ، فلما أحضروها وضع ابن صوريا أصبعه على آية الرجم ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع إصبعك ، فلما رفعه إذا آية الرجم تلوح في التوراة ، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما بالحجارة حتى ماتا ﴾ [(1)] [(2)] .

فهذا من تحريف علمائهم لكلام الله ، وقد كذبوا على الله سبحانه وتعالى وأخفوا حكمه .

ومن تحريفهم : ما ذكره الله أن الله أمرهم أن يدخلوا الباب سجدا ، وأن يقولوا حطة ، يعني : حط عنا خطايانا ، فأبدلوا حطة بكلمة : حنطة ، بالنون ، فزادوا في كلام الله ما ليس منه .

والتحريف هو : الزيادة في كتاب الله ، أو النقص من كتاب الله ، أو تفسير كتاب الله بغير معناه ، هذا هو التحريف ؛ لأن التحريف إما أن يكون في اللفظ ، وإما أن يكون في المعنى ، وعلى هذا النمط كل من يحاول تفسير القرآن أو الأحاديث بغير معناها الصحيح ؛ من أجل نصرة مذهبه ، أو اتباع شهوته ، أو حصول مطمعه ، قال تعالى :

---

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٢٨٠) ، مسلم الحدود (١٦٩٩) ، أبو داود الحدود (٤٤٤٦) ، أحمد (٥/٢) ، مالك الحدود (١٥٥١) ، الدارمي الحدود (٢٣٢١) .

(٢) (أخرجه البخاري (رقم ٣٦٣٥ ، ٤٥٥٦ ، ٦٨١٩ ، ٧٥٤٣) ، ومسلم (رقم ١٦٩٩ ، ١٧٠٠)) .

....

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [1] الآية ، وهذا هو النفاق ، والنفاق وتحريف النصوص طريقة اليهود .

ثم قال بعدها : ﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [2] ، هؤلاء هم العباد الجهال ، يقرءون التوراة ولكن لا يعرفون معناها ، فيتخذهم هؤلاء أئمة لهم وهم جهال ، فلا يجوز الاقتداء إلا بعالم عامل ، وهؤلاء هم الربانيون ، وكذلك العباد الجهال لا يقتدى بم ، وإن كان عندهم زهد وعبادة ، لكنهم على غير طريق صحيح وغير هدى من الله سبحانه وتعالى .

(١) سورة البقرة آية : ٧٦ .
(٢) سورة البقرة آية : ٧٨ .

المسألة الثامنة والسبعون : تناقضهم في محبة الله

(دعواهم محبة الله ، مع تركهم شرعه ، فطالبهم الله بقوله : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾ [(١)] **.**

الشـرح

من ضلال اليهود ومن شابههم : دعواهم محبة الله مع أنهم يخالفون أمره سبحانه وتعالى ، وعلامة محبة الله : اتباع أمره ، كما قال الشاعر :

لـو كـان حـبك صـادقا لأطعـته ... إن المحـــب لمـــن يحـــب مطـــيع

وهذا كما في قوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [(٢)]

فاليهود والنصارى يقولون : ﴿ نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾ [(٣)] ، ومع هذا يخالفون شرع الله سبحانه وتعالى ، فدل ذلك على كذبهم في دعواهم ، حيث طالبهم الله بإقامة الدليل على ما يدعونه من محبته ، وذلك باتباع رسوله محمد ﷺ فلما لم يفعلوا ظهر كذبهم ، وكذلك الصوفية يبنون دينهم على أنهم يحبون الله ﷻ ويقولون : العبادة هي المحبة ، فنحن لا نعبد الله خوفا من ناره ، ولا طمعا في جنته ، وإنما نعبده ؛ لأننا نحبه ، مع أنهم يخالفون شرع الله سبحانه وتعالى ، فلا يتبعون الرسول ﷺ وإنما يتبعون مشائخهم ، وأصحاب الطرق التي يبايعونهم عليها على السمع والطاعة لهم ، وأنهم لا يخالفون لهم أمرا مهما أمروا ، حتى إنهم يقولون : إن المريد مع شيخه كالميت بين يدي غاسله ، ما له اختيار ولا له غير ما اختاره شيخه . فأين اتباع الرسول ﷺ ؟ فهم كاذبون في هذه الدعوى .

ولهذا تحدى الله - جل وعلا - هؤلاء المدعين لمحبته بهذه الآية : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [(٤)] فعلامة محبة الله : اتباع رسوله ﷺ فمن وجدت

---

(١) سورة آل عمران آية : ٣١ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٣١ .
(٣) سورة المائدة آية : ١٨ .
(٤) سورة آل عمران آية : ٣١ .

....

فيه هذه الصفة فإنه صادق في دعواه المحبة ، ومن فقد هذه الصفة - وهي الاتباع للرسول - فإنه كاذب في دعواه ، فقد ذكر سبحانه دليل المحبة وثمرتها ، فدليلها اتباع الرسول ﷺ وثمرتها نيل محبة الله للعبد ، ومغفرة ذنوبه ، وكذلك هذا يطرد في كل من يدعي محبة الرسول وهو لا يتبعه ، كمن يدعون محبة الرسول ويكتبون في الصحف والمجلات : علموا أولادكم محبة رسول الله ﷺ . وهم يبتدعون البدع ، ويحدثون الموالد ، والنبي ﷺ نهى عن البدع ، فهم يدعون محبته ، ويخالفونه في إحداث البدع والخرافات التي نهى عنها وحذر منها .

المسألة التاسعة والسبعون : اعتمادهم على الأماني الكاذبة

(تمنيهم الأماني الكاذبة ، كقولهم : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [(1)] ، **وقولهم :** ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ [(2)] .

الشــرح

اليهود والنصارى يعتمدون على الأماني الكاذبة ، ويتمنون على الله الأماني ، كما ذكر الله تعالى عنهم أنم قالوا : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [(3)] هي أيام عبادتم للعجل - بزعمهم - ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [(4)] فهذا رد على قولهم : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [(5)] كما رد عليهم في سورة آل عمران : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [(6)] ، وقال تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [(7)] .

---

(١) سورة البقرة آية : ٨٠ .
(٢) سورة البقرة آية : ١١١ .
(٣) سورة البقرة آية : ٨٠ .
(٤) سورة البقرة الآيتان : ٨٠ - ٨١ .
(٥) سورة البقرة آية : ٨٠ .
(٦) سورة آل عمران الآيات : ٢٣ - ٢٥ .
(٧) سورة النساء الآيتان : ١٢٣ - ١٢٤ .

المسألة الثمانون : غلوهم في الأشخاص

(اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد) .

الشـرح

مما عليه أهل الجاهلية من أهل الكتاب وغيرهم : اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، وهذا كان ولا يزال عند اليهود والنصارى ، وعند مشركي العرب ، وعند المنتسبين إلى الإسلام ممن يعبدون القبور والأضرحة ، وأهل الكتاب هم أول من عمل ذلك ، قال ﷺ : ﴿ إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ﴾ [(١)] يعني : مصليات يصلون عندها ؛ لأن الصلاة عندها وسيلة إلى عبادتها ، وإن كان المصلي يصلي لله ، لكن إذا صلى عند قبر ، فإن هذا وسيلة إلى عبادته ، فكيف إذا دعا القبر واستنجد به واستغاث به ، كما يقال الآن عند الأضرحة ؟ هذا من دين الجاهلية ، من يهود ونصارى وغيرهم ، قال ﷺ لما أخبرته أم سلمة وأم حبيبة - رضي الله تعالى عنهما - عما رأتاه في أرض الحبشة من الكنائس وما فيها من التصاوير ؛ لأن أم سلمة وأم حبيبة قد هاجرتا إلى الحبشة مع زوجيهما الهجرة الأولى ، فرأتا في بلاد الحبشة الكنائس المزخرفة ، با الصور ، فذكرتا ذلك ، فقال النبي ﷺ : ﴿ أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح ، أو العبد الصالح ، بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله ﴾ [(٢)] [(٣)] .

فمن دين الجاهلية : اتخاذ الأولياء والصالحين أربابا من دون الله ﷻ يزعمون أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ، وأنهم يشفعون لهم عند الله ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن

---

(١) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢) .

(٢) البخاري الصلاة (٤٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٨) ، النسائي المساجد (٧٠٤) ، أحمد (٥١/٦) .

(٣) (أخرجه البخاري (رقم ٤٢٧ ، ٤٣٤ ، ١٣٤١) ومسلم (رقم ٥٢٨)) .

....

دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [2] وهؤلاء لا يعتقدون فيهم أنهم يخلقون ويرزقون ويحيون ويميتون ، بل يعترفون أن هذا خاص بالله ﷻ وإنما اتخذوهم وسائط بينهم وبين الله وشفعاء ، فصرفوا لهم أنواعا من العبادات ؛ من أجل أن يقربوهم إلى الله زلفى . فهذا دين الجاهلية ، وعليه عباد القبور اليوم ، نسأل الله العافية والسلامة .

ومن الغلو في القبور وأصحابها البناء عليها وإسراجها ووضع الستائر عليها والكتابة عليها وتجصيصها وغير ذلك من مظاهر الغلو ، ولهذا نهى الرسول ﷺ عن ذلك كله .

---

(١) سورة يونس آية : ١٨ .
(٢) سورة الزمر آية : ٣ .

المسألة الحادية والثمانون : الغلو في آثار الأنبياء

(اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ذكر عن عمر) .

الشـرح

من دين الجاهلية : اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد ، أي يصلون عندها تبركا بها ، والفرق بين هذه والتي قبلها : أن التي قبلها غلو في الأشخاص ، وهذا غلو في آثار الأشخاص ، والآثار : جمع أثر ، وهو المكان الذي جلس فيه نبي أو رجل صالح أو صلى فيه ، يتتبعون هذه المواطن فيتعبدون فيها لله ﷻ يظنون أن الصلاة فيها فيها فضيلة ، مثل الذين يذهبون الآن إلى غار حراء ؛ لأن الرسول ﷺ كان قد تعبد فيه قبل البعثة ، فهم يذهبون إليه للصلاة والدعاء فيه ، ولم يكن النبي ﷺ يزوره بعد البعثة ، ولا أحد من صحابته الكرام ذهب إلى غار حراء ؛ لعلمهم أن ذلك غير مشروع .

كذلك يذهبون إلى غار ثور الذي اختفى فيه النبي ﷺ قبل الهجرة ، ويصلون فيه ، ويضعون فيه الطيب ، وربما يرمون فيه النقود .

هذا كله من دين الجاهلية ، فالجاهلية هي التي تعظم آثار أنبيائها ، ولهذا يقول عمر ﷺ لما رأى الناس يذهبون إلى شجرة البيعة - : " إنما أهلك من كان قبلكم أنهم تتبعوا آثار أنبيائهم " ثم أمر بقطع الشجرة ، وهذه الأماكن لم يقصدها النبي ﷺ للتشريع ، فلا يجوز قصدها للعبادة فيها ، أما الأماكن التي قصدها النبي ﷺ للتشريع ، مثل صلاته عند مقام إبراهيم ، عملا بقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ (١) ، فإنها تشرع الصلاة فيها اقتداء بالنبي ﷺ أما جلوسه في غار حراء ، وفي غار ثور ، أو جلوسه في الطريق بين مكة والمدينة للاستراحة ، فهذا لم يفعله من أجل التشريع ، وإنما فعله اتفاقا وللحاجة .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٢٥ .

....

فيجب أن يفرق بين هذا وهذا ، فالأماكن التي لم يقصدها للتشريع ، وإنما مر بها أو جلس فيها من باب العادة ، أو للاستراحة ، أو صادفته الصلاة وصلى فيها من غير قصد لها ، فإنه لا يتخذ هذا المكان الذي صلى فيه الرسول مصلى ؛ لأنه فعله لا من باب القصد ، وإنما فعله لأن الصلاة أدركته في هذا المكان فصلى فيه ، وهذا المكان وغيره ليس له ميزة ، ولأن تتبعها يحدث الوثنية فيما بعد بتبرك الناس بها ، ويقصدونها من بعيد ، ويسافرون إليها ، فيحصل في ذلك ما حصل في الأمم السابقة من الشرك ، وربما يبنى عليها ، وهناك من يطالبون الآن بذلك ، يقولون : ابنوا على الآثار التي مر بها الرسول وجلس فيها ، ابنوا عليها من أجل الذكرى . وهذا كلام باطل ، نحن لا نفعل شيئا لم يفعله سلفنا الصالح ، لو كان هذا مشروعا لسبق إليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم ، وما هلكت الأمم إلا بمثل هذه الأفعال ، فإحياء آثار المعظمين يجر إلى الوثنية ، كما حدث في قوم نوح والأمم السابقة ، ولا يقال : إن الناس الآن على وعي من دينهم فلا يخاف عليهم ؛ لأنها تأتي أجيال جاهلة فيزين لها الشيطان الوثنية ، ولأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة .

ولا تؤمن الفتنة على أحد كما قال الخليل - عليه السلام - ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [1] .

(١) سورة إبراهيم آية : ٣٥ .

المسألة الثانية والثمانون : اتخاذهم لوسائل الشرك

(اتخاذ السرج على القبر) .

الشـرح

اتخاذ السرج على القبور : أن يجعل فيها أنوار من المصابيح أو الفوانيس ، أو الكهرباء ، على شكل قناديل ؛ لأجل الزيارة . ولا يجوز هذا ؛ لأنه من أسباب الشرك ، وإذا احتاج الناس إلى النور من أجل دفن ميت ، فإنم يأتون معه بسراج أو فانوس بقدر الحاجة ، أما إنه يجعل في المقبرة أعمدة كهرباء ثابتة لأجل إنارتا ، فهذا منهي عنه ، قال ﷺ : ﴿ لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ﴾ [(١)] [(٢)]

والحديث في السنن ، ولعن النبي ﷺ زائرات القبور يدل على أن المرأة ممنوعة من زيارة المقابر ، وإنما زيارة القبور خاصة بالرجال ، واللعن يفيد أن زيارة المرأة للقبور كبيرة من كبائر الذنوب .

ولعن ﷺ المتخذين عليها المساجد ، أي : الذين يتحرون الصلاة عندها ، أو يبنون عليها المساجد ، وهذا أشد ، أو الذين ينورونا ، لأن هذا وسيلة إلى الشرك ، بأن تعبد هذه القبور وتدعى من دون الله ﷻ فالقبور تترك كما كانت قبور الصحابة في عهد النبي ﷺ لا تسرج ولا يبنى عليها أبنية ، وإنما تترك كما هي على حالها ، وترفع من ترابا عن الأرض قدر شبر فقط ، ويوضع عليها نصايب ؛ لتعرف أنا قبور ، ولا يزاد على ذلك ، قال ﷺ لعلي بن أبي طالب : ﴿ لا تدع قبرا مشرفا (يعني مرتفعا) إلا سويته ﴾ [(٣)] [(٤)]

---

(١) الترمذي الصلاة (٣٢٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٤٣) ، أبو داود الجنائز (٣٢٣٦) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٧٥) ، أحمد (٣٣٧/١) .

(٢) (أخرجه أبو داود (٣٦٢/٣ رقم ٣٢٣٦) والترمذي (١٣٦/٢ رقم ٣٢٠) ، وقال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث حسن) .

(٣) مسلم الجنائز (٩٦٩) ، الترمذي الجنائز (١٠٤٩) ، النسائي الجنائز (٢٠٣١) ، أبو داود الجنائز (٣٢١٨) ، أحمد (١٣٩/١) .

(٤) (أخرجه مسلم (رقم ٩٦٩)) .

....

يعني : أزلت ارتفاعه وسويته بالأرض ؛ لأن إشرافه وارتفاعه يغري الجهال بقصده ؛ لأن الشرك أسرع إلى قلوب الجهال من السيل إلى منحدره ؛ لأن شياطين الإنس والجن يزينون للناس هذه الأمور ويفتنونهم بها ، فإذا كان القبر ليس فيه ما يلفت النظر ، ولا يعرف هل هو قبر نبي أو غيره ، فهذا أبعد عن الفتنة ، أما إذا قصد وعظم وجعل عليه بنية وزخارف ، ووضع عليه أنوار ، فهذا يصرف الأنظار إليه ، يقول الجهال : ما عمل فيه هذا الشيء إلا لأن له سرا ، فيقصدونه بالعبادة .

فالواجب أن يتبع في القبور هدي النبي ﷺ الذي ليس فيه غلو أو بناء أبنية ، أو إيقاد سرج ، أو كتابات ، أو تجصيص ، أو غير ذلك ، كما كانت القبور في عهد النبي ﷺ .

المسألة الثالثة والثمانون : عكوفهم عند القبور

(اتخاذ القبور أعيادا) .

الشـرح

الأعياد جمع عيد ، وهو : ما يتكرر ويعود ، وهو ينقسم إلى قسمين :

عيد زماني : كعيد رمضان ، وعيد الأضحى .

القسم الثاني : عيد مكاني : وهو المكان الذي يجتمع فيه على مدار السنة ، أو على مدار الأسبوع ، أو على مدار الشهر ، يجتمع فيه للعبادة ، والنبي ﷺ يقول : ﴿ لا تجعلوا قبري عيدا (يعني : مكانا للاجتماع حوله ، والعكوف حوله ، والتردد عليه) وصلوا علي حيث كنتم ، فإن صلاتكم تبلغني ﴾ (١) (٢) فليس للصلاة على الرسول عند قبره خاصية ، بل صل عليه في أي مكان في المشرق أو في المغرب ، في أي مكان صل على الرسول ، ويبلغه ذلك .

وتكرار زيارته ، والجلوس عنده من اتخاذه عيدا ، وهو يؤول إلى الشرك ، فأهل الجاهلية يتخذون قبور الصالحين أعيادا ، يجتمعون حولها ويعكفون عندها ، كما هو الآن حاصل عند قبر البدوي وغيره ، يأتيه الزوار من كل مكان ، ويجلسون وينصبون الخيام ، ويذبحون الذبائح ويقيمون الأيام ، عند قبر البدوي أو غيره ، وهذا من دين الجاهلية . وإذا كان قبر الرسول ﷺ منهيا عن الاجتماع حوله والتردد عليه ، فكيف بقبر غيره ؟ لأن هذا وسيلة من وسائل الشرك .

ولما سأل رجل النبي ﷺ أنه نذر أن ينحر إبلا ببوانة - اسم موضع - فقال له النبي ﷺ : ﴿ هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا : لا ، قال : هل كان

---

(١) أبو داود المناسك (٢٠٤٢) ، أحمد (٣٦٧/٢) .

(٢) (أخرجه أبو داود (٣٦٦/٢ رقم ٢٥٤٢)) .

....

فيها عيد من أعيادهم (أي اجتماع) يجتمعون فيه ؟ قالوا : لا ، قال : أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم ﴾ [1] [2] .

الشاهد : قوله : ﴿ هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ ﴾ [3] أي : عيد مكاني ، فدل على أنه لا يجوز اتخاذ مكان مخصص للعبادة ، إلا ما خصصه الله ورسوله ، كالمساجد ومشاعر الحج والعمرة ، وما عداها فالأرض كلها سواء ، وكما قال ﷺ : ﴿ جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ﴾ [4] [5] .

---

(١) أبو داود الأيمان والنذور (٣٣١٣) .
(٢) (أخرجه أبو داود (٣٩٤/٣ رقم ٣٣١٣)) .
(٣) أبو داود الأيمان والنذور (٣٣١٣) .
(٤) سنن ابن ماجه كتاب الطهارة وسننها (٥٦٧) ، مسند أحمد (٢٤٠/٢) .
(٥) (أخرجه البخاري (رقم ٣٣٥ ، ٤٣٨) ومسلم (رقم ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣)) .

المسألة الرابعة والثمانون : تقربهم إلى الله بالذبح عند القبور

(الذبح عند القبور) .

الشـرح

قال الله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) . فالذبح عبادة لله .

والذبح عند القبور : إذا كان تعظيما لها فهذا شرك أكبر ، وإذا كان تعظيما لله ، ولكن فعله عند القبر يظن أنه مشروع ، فهذا بدعة ووسيلة إلى الشرك ، فلا يجوز الذبح عند القبور حتى ولو كان الذابح لا يعتقد في القبور وإنما يذبح لله ؛ لأنه إذا اعتاد الناس الذبح عند القبور آل هذا إلى عبادتها من دون الله ﷻ وكذلك الذبح للجن لاتقاء شرهم أو للعلاج ، فهذا شرك بالله .

أما الذبح للأكل ، أو الذبح لإكرام ضيف ويذكر عليه اسم الله ، فهذا لا بأس ؛ لأنه من العادات لا من العبادات .

أما ذبح الأضحية وذبح العقيقة والذبح الذي يقصد به العبادة ، فهذا عبادة لله ﷻ ؛ ولا يذبح لمخلوق ، تعظيما له تعظيم عبادة ، ولا يذبح عند قبر مخلوق ؛ لأن هذا يؤول إلى عبادته .

---

(١) سورة الكوثر آية : ٢ .

(٢) سورة الأنعام الآيتان : ١٦١ - ١٦٢ .

المسألتان الخامسة والسادسة والثمانون : احتفاظهم بآثار المعظمين

(التبرك بآثار المعظمين ، كدار الندوة ، وافتخار من كانت تحت يده بذلك ، كما قيل لحكيم بن حزام : بعت مكرمة قريش ؟ ! فقال : ذهبت المكارم إلا التقوى) .

الشـرح

تعظيم آثار المعظمين من العلماء أو من الملوك أو من الرؤساء ، بأن تحيا هذه الآثار وترمم وتصان ، فهذا العمل وسيلة من وسائل الشرك ، وهذا من دين الجاهلية ؛ لأنه يأتي جيل فيما بعد ويقولون - أو يقول لهم الشيطان - : إن آباءكم ما احتفظوا بذه الآثار إلا لأن فيها بركة وفيها خيرا ، فيعبدونا من دون الله ؛ لأن الجيل الأول هيأ لهم الأسباب ، كما فعل الشيطان مع قوم نوح لما أمرهم بتصوير الصالحين لأجل أن تبعث فيهم النشاط على العبادة ، فهم أسسوا هذا الشيء بنية صالحة ، ولكن جاء جيل جهال فعبدوها ، وهذا من فعل الجاهلية ، هم الذين يعظمون آثار العظماء ، ويحافظون عليها ويصونونا ، ثم تعبد من دون الله ولو على المدى البعيد .

فلا يقل قائل : الناس الآن على دين صحيح وعلى توحيد .

نقول : لا يقتصر النظر على الوقت الحاضر ، وإنما يجب النظر للمستقبل ، مع أن الحاضرين لا تؤمن عليهم الفتنة أيضا ، لكن المستقبل أشد ، فلا يجوز العناية بذه الآثار ، وما هلكت الأمم إلا بمثل هذا ، وهو أنم عظموا آثار كبرائهم حتى صارت أوثانا في المستقبل ، فالواجب على المسلمين التنبه لهذا الأمر .

وذكر الشيخ شاهدا لذلك ؛ دار الندوة في مكة ، وهي مكان يجتمع فيه أكابر قريش ؛ للتشاور في الأمور المهمة .

فلما جاء الإسلام وزالت الجاهلية ، بقي مبنى دار الندوة على حاله إلى وقت معاوية ﵁ للتملك والانتفاع بسكناها وتحويلها عن هيئتها ، فاشترى هذه الدار من حكيم بن حزام ﵁ فلام الناس حكيما على ذلك ، قالوا : لم بعت هذا الأثر من آثار

....

أسلافنا ، وبعت مكرمة قريش ؟ قال ﷺ ذهبت المكارم إلا التقوى . وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [1] هذا هو الجواب السديد الموافق لكلام الله ﷻ وهذا من نور البصيرة ونور الإيمان .

فدل على أنه لا يجوز الاحتفاظ بالآثار القديمة ؛ لأن هذا يؤول إلى الشرك ، ولو فيما بعد ، والدين جاء بسد الطرق المفضية إلى الشرك .

(١) سورة الحجرات آية : ١٣ .

المسائل من السابعة والثمانين إلى التسعين
من خصال الجاهلية الباقية في بعض هذه الأمة

(الفخر بالأحساب ، الطعن في الأنساب ، الاستسقاء بالأنواء ، النياحة على الميت) .

الشــرح

هذه المسائل الأربع من مسائل الجاهلية ، قال ﷺ : ﴿ أربع في أمتي من أمور الجاهلية لا يتركونن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة على الميت ﴾ [1] [2] .

والفخر بالأحساب : أن يفتخر الإنسان بأمجاد آبائه وأجداده ، وهذا من دين الجاهلية ؛ لأنهم كانوا يجتمعون في منى ، وبدل أن يذكروا الله ﷻ يذكرون مفاخر آبائهم ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ ﴾ [3] فالواجب ذكر الله ﷻ ليس ذكر الآباء والأجداد .

والطعن في الأنساب : كأن يقول : فلان ما له أصل ، فلان من قبيلة ليست هي أصيلة ، وهذا معناه تنقص الآخرين ، والله جل وعلا يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [4] فالفخر ليس بالنسب ، الفخر إنما هو بالتقوى ، ولا ينفعك النسب إذا فقدت التقوى ، قال ﷺ : ﴿ من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ﴾ [5] [6] فلا ينفع الإنسان كونه من قريش ، ولا

---

(١) مسلم الجنائز (٩٣٤) ، أحمد (٣٤٣/٥) .

(٢) (أخرجه مسلم (رقم ٩٣٤)) .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٠٠ .

(٤) سورة الحجرات آية : ١٣ .

(٥) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩) ، الترمذي القراءات (٢٩٤٥) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢٥) ، أحمد (٢٥٢/٢) ، الدارمي المقدمة (٣٤٤) .

(٦) (جزء من حديث أخرجه مسلم (رقم ٢٦٩٩)) .

....

كونه من بني هاشم ، ولا كونه من بيت الرسول ﷺ إذا لم يكن معه عمل صالح ، لا ينفعه إلا العمل الصالح وتقوى الله ﷻ .

والاستسقاء بالنجوم : اعتقاد أن المطر يـ ل من تأثير طلوع النجم أو غروبه ، وهذا من دين الجاهلية ، فالمطر إنما يحصل بإرادة الله سبحانه وتعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾ [1] ، فالله هو الذي يـ ل المطر بإرادته ومشيئته وحكمته ، ويـ له كيف يشاء سبحانه وتعالى ، يـ له على أرض ، ويمنع منه أرضا أخرى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝ ﴾ [2] ، فالذي يعتقد أن لطلوع النجم أو غروب النجم تأثيرا في نزول المطر ، فهذا الاعتقاد شرك ، تجب التوبة منه ، ويجب نسبة نزول المطر إلى الله جل وعلا .

والنياحة على الميت ، تكون بالقول مثل : رفع الصوت عند موت الميت ؛ جزعا وتسخطا ، أو ذكر محاسن الميت ، وتكون بالفعل مثل : شق الجيوب ولطم الخدود ، فالنياحة من كبائر الذنوب ، قال ﷺ : ﴿ النائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب ﴾ [3] [4] فالنياحة كبيرة من كبائر الذنوب ، وهي من أمور الجاهلية ، والواجب : الصبر والاحتساب . ولا يدخل في هذا البكاء على الميت ؛ لأنه ليس باستطاعة الإنسان أن يحبسه ، والنبي ﷺ بكى لما مات ابنه إبراهيم ، وقال : ﴿ إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون ﴾ [5] [6] وقال ﷺ : ﴿ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا

---

(١) سورة الشورى آية : ٢٨ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٥٠ .

(٣) مسلم الجنائز (٩٣٤) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٨١) ، أحمد (٣٤٤/٥) .

(٤) (أخرجه مسلم (رقم ٩٣٤)) .

(٥) البخاري الجنائز (١٢٤١) ، مسلم الفضائل (٢٣١٥) ، أبو داود الجنائز (٣١٢٦) ، أحمد (١٩٤/٣) .

(٦) (أخرجه البخاري (رقم ١٣٠٣) ، ومسلم بنحوه (رقم٢٣١٥)) .

....

بحزن القلب ، ولكن يعذب بذا - يعني اللسان - أو يرحم ﴾ [1] [2] فإذا تكلم الإنسان بكلام يرضي الله عند المصيبة ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وحمد الله وشكره ؛ غفر الله له وجبر مصيبته .

فهذه الأربع من أمور الجاهلية ، وهي باقية في الناس ، فيجب التوبة منها ، ودل الحديث على أنه ليس كل من فيه شيء من الجاهلية يكون كافرا ، فأمور الجاهلية منها ما هو كفر ، ومنها ما هو دون ذلك .

(١) البخاري الجنائز (١٢٤٢) ، مسلم الجنائز (٩٢٤) .
(٢) (أخرجه البخاري (رقم ١٣٠٤) ، ومسلم (رقم ٩٢٤)) .

المسألة الحادية والتسعون : قيام مجتمعهم على البغي

(أن أجل فضائلهم البغي ، وقد ذكر الله فيه ما ذكر) .

الشـرح

البغي هو : التعدي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، وأهل الجاهلية يعتبرون ذلك من مفاخرهم ، ويتمدحون به في أشعارهم ومقالاتم ، فجاء الإسلام بتحريمه والنهي عنه ، وأمر بالعدل بين الناس ، وشرع لمن بغي عليه أن يقتص لنفسه ؛ حتى يرتدع الباغي وينتصر المظلوم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] ، فقرن البغي مع الفواحش والشرك والقول عليه بغير علم .

وقال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [2] .

وقال النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع : ﴿ إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، ألا هل بلغت ؟ ﴾ [3] [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [5] وبإقامة هذه الأحكام الربانية استتب الأمن ، وسادت المحبة بين المسلمين ، وزالت عنهم فوضى الجاهلية وعنجهيتها ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(٢) سورة النحل آية : ٩٠ .
(٣) البخاري الحج (١٦٥٢) ، أحمد (٢٣٠/١) .
(٤) (أخرجه البخاري (رقم ٦٧ ، ١٠٥ ، ١٧٣٩) ، ومسلم (رقم ١٦٧٩)) .
(٥) سورة النساء آية : ٩٣ .

المسألة الثانية والتسعون : الفخر بغير الحق أو بحق

(أن أجل فضائلهم الفخر ولو بحق ، فنهي عنه) .

الشـرح

من مسائل الجاهلية : الفخر ولو بحق ، فهم يفخرون بأفعالهم وأفعال آبائهم ، وهذا منهي عنه ؛ لأن الفخر بالأعمال يؤدي إلى الإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين ، وهو منهي عنه ، وهو من أفعال الجاهلية ، فلا يجوز للمسلم أن يفتخر ؛ لأنه مهما بذل ومهما عمل فإنه مقصر ، ولا يؤدي كل ما أوجب الله عليه ، فحق الله عظيم ، وحق الوالدين عظيم ، وحق الأقارب عظيم ، وعليه حقوق عظيمة ، فكيف يفخر الإنسان إذا فعل شيئا من الإحسان ، أو من المعروف ، أو من أفعال الخير ، مع أنه إنما أتى بشيء يسير ؟ هذا في الافتخار فيما بينه وبين الخلق ، أما إذا افتخر بأعماله التي بينه وبين الله ، فهذا أشد ؛ لأنه يؤدي إلى الإعجاب بالعمل ، وإلى استكثار العمل ، وهذا يبطل العمل .

فالواجب على الإنسان أن يعتبر نفسه مقصرا دائما وأبدا فيما بينه وبين الله ، وهذا واضح ، وفيما بينه وبين الخلق أيضا ؛ فإنه إذا اعتبر نفسه مقصرا ، حمله ذلك على التواضع ، وحمله ذلك إلى المزيد من الخير ، أما إذا اعتبر نفسه مكملا ، وأنه قام بالواجب ، فهذا يستدعي أنه يتوقف عن فعل الخير ، ويرى أنه قد بلغ النهاية ، فيتوقف عن فعل الخير .

والحاصل : أن الافتخار لا ينبغي أن يصدر من مسلم ، وإنما هو من أفعال الجاهلية ، والنبي ﷺ لما ذكر أنه سيد ولد آدم - قال : ﴿ ولا فخر ﴾ [(١)] [(٢)] مع أن مقامه هذا لا يساويه فيه أحد ، ومع هذا قال : ﴿ ولا فخر ﴾ [(٣)] ، نفى عن نفسه الفخر ، وإنما أخبر بذلك من باب التحدث بنعمة الله ﷻ والشكر عليها لا من باب الفخر .

---

(١) الترمذي تفسير القرآن (٣١٤٨) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٨) .

(٢) (فعن أبي سيد الخدري قال : قال رسول الله أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر . . أخرجه الترمذي (٣٠٨/٥ رقم ٣١٦٠) (٥٨٧/٥ رقم ٣٦٢٤) ، وقال في الموضعين : هذا حديث حسن صحيح) .

(٣) الترمذي تفسير القرآن (٣١٤٨) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٨) .

المسألة الثالثة والتسعون : التعصب الممقوت

(أن تعصب الإنسان لطائفته على الحق والباطل ، أمر لا بد منه عندهم ، فذكر الله فيه ما ذكر) .

الشــرح

التعصب المذموم هو الاستمرار على الباطل ، مع العلم ببطلانه ؛ تكبرا وعنادا ونصرة للشخص أو للقبيلة على حق أو باطل ، وهذا من أمور الجاهلية .

يقول شاعرهم :

ومـا أنـا إلا مـن غـزية إن غوت غويــت وإن ترشــد غــزية أرشــد

فأنزل الله في ذلك ما أنزل ، من قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ ﴾ [(١)] أي : لا يحملكم بغض قوم على ألا تعدلوا في حقهم ، ولو كانوا أعداءكم ، فالعدل مطلوب مع الأصدقاء ومع الأعداء ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ ﴾ [(٢)] ، فلا تحملك القرابة على أنك تحيف مع قريبك ، بل إذا كان مخطئا تغير خطأه ، ولا تتابعه عليه بل تنصحه ، ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ ﴾ [(٣)] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ ﴾ [(٤)] ، وقال تعالى : ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [(٥)] .

---

(١) سورة المائدة آية : ٨ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٢ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٢ .
(٤) سورة المائدة آية : ٨ .
(٥) سورة النساء آية : ١٣٥ .

....

فالواجب على الإنسان العدل مع نفسه ومع قريبه ومع صديقه ومع عدوه ، لا تحمله عداوة أحد أن يظلمه ، أو يجور عليه ، هذا هو شأن المسلم .

وأما أهل الجاهلية فإنهم يتعصبون لقومهم ، ولو كان قومهم ظالمين ، فأمرنا الله جل وعلا بمخالفتهم ، وأن نقول الحق ولو على أنفسنا وعلى أقاربنا وعلى أصدقائنا وعلى أعدائنا ، وقال ﷺ : ﴿ انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، قالوا : يا رسول الله ، ننصره إذا كان مظلوما ، فكيف ننصره إذا كان ظالما ؟ ! قال : تمنعه عن الظلم ، فذلك نصره ﴾ [(١)] [(٢)] فنصره : أن تمنعه من الظلم ، وليس نصره أن تساعده على الظلم ، فهذا خذلان له .

(١) البخاري الإكراه (٦٥٥٢) ، الترمذي الفتن (٢٢٥٥) ، أحمد (٣/٩٩) .

(٢) (أخرجه البخاري (رقم ٢٤٤٣ ، ٢٤٤ ، ٦٩٥٢)) .

المسألة الرابعة والتسعون
أخذ البريء بجريمة غيره

(أن من دينهم : أخذ الرجل بجريمة غيره ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [(١)] **) .**

الشــرح

من مسائل الجاهلية : أنم يأخذون الرجل - أي يعاقبونه - بسبب جرم غيره ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [(٢)] فالذي لم يحصل منه ظلم لا يؤاخذ بظلم غيره ، حتى ولو كان قريبه : ابن عمه أو والده أو ولده ، لا يجني جان إلا على نفسه ، ولا يؤخذ البريء بجريمة المعتدي ، فإذا أخذ غير المعتدي بعدوان المعتدي ، فهذا ظلم وجور لا يقره الإسلام .

والآن في بعض البوادي : إذا حصل اعتداء من شخص من قبيلة ، وكان هذا الشخص لا وزن له ، لا يقتصون منه ، وإنما يقتلون أو ينتقمون من غيره من القبيلة ممن هو أشرف منه وأعز منه ، ولا يأخذون المعتدي ، وإنما يأخذون شيخ القبيلة أو من له قيمة أو مقام في القبيلة ، وهذا من فعل الجاهلية .

الواجب أن الجريمة تختص بصاحبها ، ويقتص من صاحبها ، هذا هو العدل . . . ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [(٣)] .

فالحاصل : أن هذه قاعدة عظيمة : أن الجريمة تختص بمن فعلها ، ولا تتناول غيره .

فإن قلت : يرد على هذا أن الله جعل دية الخطأ على العاقلة ، ولم يجعلها على القاتل ، أليس هذا فيه تحميل لغير المذنب بذنب غيره ؟

(١) سورة فاطر آية : ١٨ .
(٢) سورة فاطر آية : ١٨ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٩٤ .

....

نقول : لا ، هذا من العدل والتعاون ، لما كان القاتل خطأ غير متعمد ، ناسب ذلك أن تعينه عصبته ، كما أنم يرثون ماله لو مات ، فكذلك يحملون عنه الخطأ الذي وقع فيه من غير قصد ، أما المتعمد للجريمة فهذا يختص جزاؤه به ولذلك لا تحمل العاقلة عمدا .

المسألة الخامسة والتسعون
تعيير الرجل بنقص في غيره

(تعيير الرجل بما في غيره ، فقال : ﴿ أعيرته بأمه ؟ ! إنك امرؤ فيك جاهلية ﴾ [1]) .

الشـرح

هذا في قصة أبي ذر ﷺ لما قال في واحد من أفاضل الصحابة من السابقين الأولين إلى الإسلام ، قال له : يا ابن السوداء ؛ لأن أمه سوداء ، قال له ﷺ ﴿ أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ﴾ [2] [3] فتعيير الشخص بشيء ليس فيه ، وإنما هو في غيره ، أو بدناءة نسبه ، هو من أمور الجاهلية ، وليس كل من كانت فيه خصلة من خصال الجاهلية يكون كافرا .

---

(١) البخاري الإيمان (٣٠) ، مسلم الأيمان (١٦٦١) ، أبو داود الأدب (٥١٥٧) ، أحمد (١٦١/٥) .
(٢) البخاري الإيمان (٣٠) ، مسلم الأيمان (١٦٦١) ، أبو داود الأدب (٥١٥٧) ، أحمد (١٦١/٥) .
(٣) (أخرجه البخاري (رقم ٣٠ ، ٦٠٥٠) ومسلم (رقم ١٦٦١)) .

المسألة السادسة والتسعون
افتخارهم بأعمالهم الطيبة

(الافتخار بولاية البيت ، فذمهم الله بقوله : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ [1] **) .**

الشـرح

من مسائل الجاهلية : أنهم يفتخرون بقيامهم على المشاعر ، بسدانتها وتنظيمها ، ووفادة الوافدين إليها ، وسقاية الحجيج ، فهم يفتخرون بهذا العمل ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾ [2] أي : بولاية البيت وبخدمة البيت الشريف ، وبخدمة الوافدين إليه ، يفتخرون بهذا على غيرهم من العرب ، فهذا من أمور الجاهلية ؛ لأن خدمة بيوت الله عبادة ، فلا يجوز للإنسان أن يفتخر بالعبادة ؛ لأنه يتقرب بها إلى الله ، لا يريد الثناء من الناس والمدح من الناس ، بل يحمد الله أن جعله ممن يقومون بهذا العمل ، دون أن يتكبر به أو أن يفتخر به . . .

فهم بدلا من أن يؤمنوا بالرسول وبالكتاب ويتبعوه ، يفتخرون بعملهم في البيت ، ويظنون أن هذا يكفيهم عن اتباع الكتاب واتباع الرسول ﷺ هذا وجه الذم لهم ؛ أنهم اعتاضوا عن اتباع الكتاب بخدمة البيت ، ظنا منهم أنها تكفيهم ، فهذا من أمور الجاهلية .

والله جل وعلا يقول : ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [3] نعم ، سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام عمل صالح ، ولكن لا يفتخر الإنسان بهذا ، ويظن أنه يكفيه ، بل عليه أن يسهم بالأعمال الصالحة الأخرى ، التي هي أجل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، وهي الجهاد في سبيل الله ، والإيمان بالله ، والهجرة ، وأعمال جليلة .

(١) سورة المؤمنون آية : ٦٧ .
(٢) سورة المؤمنون آية : ٦٧ .
(٣) سورة التوبة آية : ١٩ .

....

فالإنسان لا يقتصر على عمل ويظن أنه يكفيه ، لا سيما إذا ظن أنه يكفيه عن اتباع القرآن والسنة . والآن هناك من يظنون أن سكناهم في مكة والمدينة تكفيهم عن العمل حتى قال قائلهم : النائم فيه - يعني الحرم - خير من القائم في غيره ، وهذا غرور من الشيطان .

المسألة السابعة والتسعون

افتخارهم بانتسابهم على الطيبين مع مخالفتهم لهم

(الافتخار بكونهم ذرية الأنبياء ، فأتى الله بقوله : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ [(١)] **) .**

الشـرح

من عمل بني إسرائيل : أنهم يفتخرون بكونهم ذرية الأنبياء ، دون أن يتبعوهم ، ولا سيما خاتم الأنبياء محمد ﷺ وكان الواجب عليهم أن يتبعوه ، أما أن يقولوا : نحن ذرية الأنبياء ، ويكتفوا بذا ، دون أن يتبعوهم ، فهذا رد الله عليه بقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ [(٢)] فالإنسان يعتبر بعمله هو لا بعمل غيره ، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أفضل الخلق ، ولكن هذا لا يغني عن ذريتهم إذا لم يتبعوهم ، فأعمال الأنبياء لهم ، وأنتم لكم أعمالكم ، وكذلك كل من يفتخر بعمل آبائه وأجداده ، وأنهم صالحون وأنهم علماء ، ويظن أن هذا يكفيه عن أن يعمل هو ، كالذين ينتسبون إلى أهل البيت ، ويظنون أن انتسابهم إلى أهل البيت يكفيهم دون أن يقوموا هم بأعمال صالحة ، هذا من هذا القبيل .

وكذلك الذين يتوسلون بعمل النبي ، أو بجاه النبي ، أو بعمل الأولياء أو الصالحين ، ما علاقتهم بعمل غيرهم ؟ عملهم لهم ، وعملك لك ، ولا ينفعك عملهم ، يوم القيامة لا أحد ينفع أحدا ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [(٣)] ، فلا ينفعك يوم القيامة إلا عملك ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [(٤)] ، فهذا فيه رد على الذين يتوسلون بالأولياء والصالحين أو بجاههم ، أو يكتفون بانتسابهم إلى

---

(١) سورة البقرة آية : ١٣٤ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٣٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٣٤ .

....

الصالحين أو إلى الأنبياء ، أو قرابتهم منهم ، دون أن يعملوا لأنفسهم ، يقول ﷺ : ﴿ يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس عم رسول الله ، يا صفية عمة رسول الله ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا فاطمة بنت محمد ، سليني من مالي ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئا ﴾ [1] [2] فالرسول يقول لأقرب الناس إليه : ﴿ لا أغني عنكم من الله شيئا ﴾ [3] ، فكونكم تنتسبون إلى الرسول ، أو قرابة الرسول ، أو قرابة الأولياء والصالحين ، أو تتوسلون بجاههم ، هذا لا ينفعكم شيئا .

ويوم القيامة يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [5] كل مشغول بنفسه ؛ حتى إن عيسى عليه السلام يقول : رب ، لا أسألك مريم التي ولدتني ، نفسي نفسي .

---

(١) البخاري الوصايا (٢٦٠٢) ، مسلم الإيمان (٢٠٦) ، النسائي الوصايا (٣٦٤٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٢٧٥٣ ، ٣٥٢٧ ، ٤٧٧١) ومسلم (رقم ٢٠٦) .

(٣) البخاري الوصايا (٢٦٠٢) ، مسلم الإيمان (٢٠٦) ، النسائي الوصايا (٣٦٤٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٣٢) .

(٤) سورة الانفطار آية : ١٩ .

(٥) سورة عبس الآيات : ٣٤ - ٣٧ .

المسألة الثامنة والتسعون

افتخارهم بصنائعهم على من دونهم في ذلك

(الافتخار بالصنائع ، كفعل أهل الرحلتين على أهل الحرث) .

الشـرح

الافتخار بالصنائع ، التاجر يفتخر بتجارته على الحرفي ، وعلى النجار وعلى الحداد ، والموظف يفتخر بوظيفته على من دونه من الموظفين .

المسلم لا يحتقر من هو دونه ، بل لا يحتقر الناس عموما ، فكيف يحتقر المسلمين لأجل حرفهم ، وأنا دون حرفته ؟ هذا من أمور الجاهلية ، كما ذكر الله عن قريش في الرحلتين ، فالله سبحانه وتعالى أنعم على قريش بالرحلتين التجاريتين ، رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام ؛ للتجارة ، فهم يفتخرون على الناس بأنهم أصحاب الرحلتين ، ويفتخرون على من دونهم من المزارعين وأهل الحرث .

وهذا يتناول كل من افتخر بصنعته أو وظيفته على من دونه ، فالإنسان لا يستكبر .

ومن ذلك : تنقصهم لمن حرفهم وصنائعهم ليست مثل حرف أشرافهم ، كالحدادين والنجارين ، وهذه خصلة لا تزال موجودة في بعض الناس .

ومن هذا الباب : الذين يحتقرون أئمة المساجد والمؤذنين ، مع أن وظيفة الإمام هي أفضل الوظائف ، وهي عمل الرسول ﷺ وكذلك وظيفة المؤذن ، فأشرف وظيفة هي وظيفة الإمام والمؤذن ، فهما أشرف من عمل الوزير ، وأشرف من جميع الأعمال .

المسألة التاسعة والتسعون
نظرتم على الدنيا نظرة إعجاب

(عظمة الدنيا في قلوبهم كقولهم : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ ﴾ [1] **) .**

الشـرح

من مسائل الجاهلية : عظمة الدنيا في نفوسهم ، فالذي عنده دنيا هو العزيز عندهم ، والذي ليس عنده دنيا ذليل محتقر عندهم ، حتى في الرسالة - التي هي من اختيار الله جل وعلا - يرون أنها يجب أن تكون في الأغنياء ، ولا تكون في الفقراء ، ويقولون : الله ما وجد إلا يتيم أبي طالب ليرسله ؟ (يعنون محمدا ﷺ) ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ ﴾ [2] القريتان : مكة والطائف ، وهذا الرجل هو الوليد بن المغيرة في مكة ، أو حبيب بن عمرو الثقفي - ، وقيل : عروة بن مسعود - في الطائف ، يقولون : لو كانت الرسالة في أحد هذين الرجلين ؛ لكان هذا أليق بالرسالة ، أما أن تذهب ليتيم فقير ، وهو محمد ﷺ فهذا غير لائق عندهم .

قال تعالى : ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ ﴾ [3] أي : يتدخلون في أعمال الله جل وعلا ، ويريدون أن يقسموا رحمة الله ، ولا يثقون بقسمة الله ﷻ و ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [4] .

---

(١) سورة الزخرف آية : ٣١ .
(٢) سورة الزخرف آية : ٣١ .
(٣) سورة الزخرف آية : ٣٢ .
(٤) سورة الأنعام آية : ١٢٤ .

المسألة المائة : الاستدراك والاقتراح على الله

(التحكم على الله ، كما في الآية السابقة) .

الشـرح

التحكم على الله يعني : الاقتراح على الله ، كما في الآية : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (١) ، كأن الله جل وعلا لا يعلم ما في نبيه من الصلاحية وهم يعرفون الصلاحية ، فهذا - والعياذ بالله - استدراك على الله ، كما قالوا : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ (٢) ويقترحون على الله ، ويقولون : كيف يفرق الله القرآن وي له منجما ، ولم ي له جملة واحدة ؟ يتدخلون فيما لا يعنيهم وفيما لا علم لهم به .

ثم بين سبحانه الحكمة في إنزال القرآن مفرقا ، وقال : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝ ﴾ (٤) ، وأيضا لأجل التسهيل لوقت العمل به ، ولو نزل القرآن جملة واحدة ما استطاع الناس العمل به ، وكذلك الله نزله منجما على حسب الوقائع ؛ لأجل أن يبين حكم كل نازلة أو كل حادثة في وقتها ، هذه هي الحكمة في ت يل القرآن مفرقا .

ولا يخلو الزمان الآن ممن هم على هذه الشاكلة ، يتدخلون في النصوص ، ويقترحون على الله ورسوله ، أنه لو كان النص كذا ، أو كان الحديث كذا وكذا ، يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ ﴾ (٥) لا تقترحوا على الله وعلى الرسول ، عليكم بالإيمان بالله ، والعمل بما أنزل الله ، دون الاقتراحات والاعتراضات .

---

(١) سورة الزخرف آية : ٣١ .
(٢) سورة الفرقان آية : ٣٢ .
(٣) سورة الفرقان الآيتان : ٣٢ - ٣٣ .
(٤) سورة الإسراء آية : ١٠٦ .
(٥) سورة الحجرات آية : ١ .

المسألة الحادية بعد المائة : احتقارهم للفقراء

(ازدراء الفقراء ، فأتاهم بقوله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ [1] **) .**

الشـرح

هذه سبق لها نظير ، وهو أنهم يتركون اتباع الأنبياء ؛ لأن الفقراء هم الذين اتبعوهم ، ﴿ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [2] أي : الفقراء والذين لا شأن لهم في المجتمع ، وهذا من دين الجاهلية ، حتى إنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يمنع هؤلاء وأن يجلسوا معهم عنده ؛ تكبرا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [3] فلو طردهم عليه الصلاة والسلام لكان من الظالمين .

ثم قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [4] فمن اتبع الحق - ولو كان فقيرا - فهو الكريم عند الله سبحانه وتعالى ، وهو الذي يستحق أن يقابل بالمقابلة الحسنة ويفسح له في المجلس ، وأما من أعرض عن الحق واستكبر عنه فهذا لا يستحق التكريم ؛ لأنه هو الذي أهان نفسه ، فيستحق الإبعاد والإقصاء والهجر .

---

(١) سورة الأنعام آية : ٥٢ .
(٢) سورة الشعراء آية : ١١١ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٥٢ .
(٤) سورة الأنعام الآيتان : ٥٣ - ٥٤ .

المسألة الثانية بعد المائة
اتهامهم لأهل الإيمان في نياتهم ومقاصدهم

(رميهم أتباع الرسل بعدم الإخلاص ، وطلب الدنيا ، فأجابهم بقوله : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [1] **الآية ، وأمثالها) .**

الشـرح

من أعمال أهل الجاهلية : أنهم يرمون الفقراء بأنهم ما آمنوا إلا من أجل أن يحصلوا على شيء من مطامع الدنيا ، كما قال آل فرعون لموسى عليه السلام هو وهارون : ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [2] ، وقال قوم نوح : ﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ [3] يرمون الأنبياء بأنهم يريدون الشرف والرئاسة ، ويرمون فقراء المؤمنين بأنهم يريدون الغنى والثروة باتباعهم الرسول ﷺ فالله جل وعلا قال : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [4] فهذا رد عليهم بقولهم في المؤمنين : إنهم يريدون الدنيا ، والله ﷻ يقول : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [5] فأثبت لهم الإخلاص .

(١) سورة الأنعام آية : ٥٢ .
(٢) سورة يونس آية : ٧٨ .
(٣) سورة المؤمنون آية : ٢٤ .
(٤) سورة الأنعام آية : ٥٢ .
(٥) سورة الأنعام آية : ٥٢ .

المسائل من الثالثة بعد المائة إلى الثامنة بعد المائة

كفرهم بأصول الإيمان

(الكفر بالملائكة ، الكفر بالرسل ، الكفر بالكتب ، الإعراض عما جاء عن الله ، الكفر باليوم الآخر ، التكذيب بلقاء الله) .

الشـرح

كل هذه المسائل من أمور الجاهلية ، فهم لا يؤمنون بالكتب ، ولا يؤمنون بالرسل ، ولا يؤمنون بالملائكة ، ولا يؤمنون باليوم الآخر ، ولا يؤمنون بلقاء الله ؛ لأن هذه من أمور الغيب ، وهم لا يؤمنون بالغيب ، وإنما يؤمن بذه الأمور من يؤمن بالغيب ، فلذلك كفروا بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ؛ ولهذا أثنى الله على الذين يؤمنون بالغيب في أول القرآن فقال : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (1) ويدخل في ذلك الإيمان بالله ، والإيمان بالملائكة ، والكتب ، والوحي ، والإيمان باليوم الآخر ، كل ذلك يدخل في الإيمان بالغيب ، والجاهلية لا يؤمنون بالغيب ، فلذلك يكفرون بذه الأمور ، ويكفرون بلقاء الله يوم القيامة .

(1) سورة البقرة الآيتان : ٢ - ٣ .

المسألة التاسعة بعد المائة

تكذيبهم لبعض ما أخبرت به الرسل

(التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر ، كما في قوله : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ ﴾ (١) **، ومنها : التكذيب بقوله :** ﴿ مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ (٢) **، وقوله :** ﴿ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ﴾ (٣) **، وقوله :** ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (٤) **) .**

الشــرح

منهم من يكفر باليوم الآخر جملة ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا ﴾ (٥) ومنهم من يؤمن باليوم الآخر ، ولكن يجحد بعض الأمور التي تكون فيه ، كأن يجحد الحساب أو وزن الأعمال ، أو الجنة أو النار ، فمنهم من يكفر به جملة ، ومنهم من يكفر ببعض ما يكون فيه ، . . . فالذي يكفر ببعضه كالذي يكفر به كله ، لا فرق ؛ لأنه يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ، قال تعالى : ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَـٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ (٦) . ومنهم من يكذب بالحساب ، كما في قوله : ﴿ مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ (٧) ، فالدين هنا هو الحساب ، وهم يكذبون به ، وبالجزاء على الأعمال ، وقوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا

---

(١) سورة الكهف آية : ١٠٥ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٤ .
(٤) سورة الزخرف آية : ٨٦ .
(٥) سورة الأنعام آية : ٢٩ .
(٦) سورة الكهف الآيات : ١٠٣ - ١٠٥ .
(٧) سورة الفاتحة آية : ٤ .

....

رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ ﴾ [1] وهذا اليوم هو يوم الدين ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [2] ، إذا لم يكن معك عمل صالح يوم القيامة فإنه لا حيلة لك في ذلك اليوم في النجاة ، فلا تجد أعمالا تباع فتشتريها كما يشتري الإنسان الحوائج في الدنيا . . . ﴿ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ [3] . . . فإذا لم تجد أحدا يبيع لك في الدنيا ، فيمكن أن يكون لك صديق تذهب إليه ، فيعطيك مما عنده ، ولكن لا توجد خلة يوم القيامة ، ولن ينفعك أحد ولو كان صديقك ، ولكن ربما يشفع لك أحد ، ويتوسط لك كما في الدنيا ، وهذا أيضا غير موجود يوم القيامة ﴿ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ ﴾ [4] .

إذا تقطعت عنك كل الوسائل يوم القيامة ، وليس لك حيلة ، إلا إذا كان معك عمل صالح قدمته لنفسك ، وأعظم ذلك : التوحيد والسلامة من الشرك ؛ ولذلك قال تعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [5] ، ﴿ شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [6] أي قال : لا إله إلا الله ، في الدنيا ، ومات عليها ، ولا يكفي أن يقول : لا إله إلا الله ، بل لا بد أن يعلم معناها ، ولذلك قال : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [7] فلا يكفي مجرد اللفظ من غير فهم للمعنى ، ولا يكفي اللفظ ومعرفة المعنى بدون العمل بمقتضاها ؛ لأن العلم وسيلة للعمل ، فإذا لم يكن مع العلم عمل فلن تنفعك لا إله إلا الله .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٤ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٤ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٤ .
(٥) سورة الزخرف آية : ٨٦ .
(٦) سورة الزخرف آية : ٨٦ .
(٧) سورة الزخرف آية : ٨٦ .

المسألة العاشرة بعد المائة
اعتداؤهم على دعاة الحق

(قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس) .

الشـرح

من جملة أعمال اليهود القبيحة : قتل الأنبياء ، وقتل الدعاة إلى الله ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [1] وكذلك من قام في وجه الحق وصد عن سبيل الله ، وقتل الدعاة إلى الله ، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، فإن الآية الكريمة تتناوله ؛ لأنه سلك مسلك أهل الجاهلية ، فيكون حكمه حكمهم .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٢١ .

المسألة الحادية عشرة بعد المائة
الإيمان بالباطل

(الإيمان بالجبت والطاغوت) .

الشـرح

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ [(١)] ، والجبت ، قيل : هو السحر ، وقيل : الشيطان ، والطاغوت : من تجاوز حدود الله .

وسبب نزول الآية : أن اليهود الذين كانوا بالمدينة لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، وعقد معهم المعاهدة على ألا يقاتلوا المسلمين ، وأن يدافعوا عن المدينة من قصدها ، وأعطوا العهد على ذلك ، فلما ضاقوا بالنبي وبأصحابه ذرعا ، ورأوا أن الإسلام ينتصر وينمو ، ذهب سادتم إلى قريش بمكة يستنجدون بم على الرسول ﷺ ويريدون منهم أن يذهبوا معهم لقتال النبي ﷺ فألهم الله قريشا أن يسألوا هؤلاء وقالوا لهم : أنتم أهل كتاب ، فأينا على الحق ، محمد ﷺ أم نحن ؟ ! قالوا : ماذا أنتم عليه ؟ ! قالوا : نحن نكرم الضيف ، ونصل الأرحام ، ونسقي الحجيج ، وكذا وكذا ، وأما محمد فإنه سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وخالف دين أجداده ، وقطع أرحامنا و . . . و . . . و . . . ، فقالوا لهم : أنتم على الحق ، ومحمد على باطل . وهم يعلمون أن محمدا على حق ، وهو رسول الله ، وأن هؤلاء عبدة أصنام وأوثان ، فقال الله فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً ۝ ﴾ [(٢)] ولاحظوا كيف أن الله قال : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ [(٣)] ، مع

(١) سورة النساء آية : ٥١ .
(٢) سورة النساء آية : ٥١ .
(٣) سورة النساء آية : ٥١ .

....

أن الأمر موافقة في الظاهر فقط ، وسماه إيمانا ، فدل على أن الموافقة للكفار على ما هم عليه من غير إكراه إيمان بما هم عليه ، ولو لم يعتقد بقلبه .

وهناك أناس الآن يقولون : إن الإنسان لا يكفر ولو قال الكفر حتى يعتقده بقلبه ، فلو قال كلام الكفر من غير إكراه ، وفعل أفعال الكفار ، وسب الله ورسوله ، وفعل ما فعل ، فإنه لا يكفر عند هؤلاء حتى يعلم ما في قلبه . وهذا مذهب غلاة المرجئة ، نسأل الله العافية والسلامة .

فالله وصف هؤلاء بأنم ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ (1) مع أن ما حصل منهم هو موافقة في الظاهر ، وهم في قلوبم يعتقدون أنم خاطئون ، وأن محمدا ﷺ على الحق ، لكن حملهم الكبر والحسد وعداوة الرسول أن يوافقوهم في الظاهر ، وكفرهم الله بذلك .

وهذه دقيقة عظيمة من مسائل التكفير ، وفيها رد على من يقول : لا يكفر الإنسان مهما قال ، ومهما فعل ، ومهما أتى من الكفر ، ولو سب الله ورسوله ، حتى يعلم أنه في قلبه يوافق على هذا الشيء ! نسأل الله العافية من هذا الضلال .

---

(1) سورة النساء آية : 51 .

المسألة الثانية عشرة بعد المائة

تفضيلهم الكفر على الإيمان

(تفضيل دين المشركين على المسلمين)

الشــرح

كما حصل من اليهود مما جاء ذكره في المسألة السابقة .

وهذا يتناول كل من فضل دين الكفر على دين المسلمين ، أو ساوى بينهما ، ومن ذلك الذين يحاولون التقريب بين الأديان الثلاثة : اليهودية والنصرانية والإسلام ، ويقولون : كلها أديان سماوية ، يجب التآخي بين أصحابها والتعاون فيما بينهم .

المسألة الثالثة عشرة بعد المائة
خلط الحق بالباطل ليقبل الباطل

(لبس الحق بالباطل) .

الشـرح

من عادة الكفار وأهل الجاهلية من اليهود والنصارى وغيرهم : لبس الحق بالباطل ، واللبس هو : الخلط ، فهم يخلطون الحق والباطل ؛ من أجل أن يروج الباطل ؛ لأنه لو كان الباطل وحده ما قبله أحد ، لكن إذا لبس بالحق فإن الأغرار من المؤمنين وقاصري النظر يقبلونه ، ويقولون : هذا فيه حق ، فيقبلونه كله ، أما لو أنهم قبلوا الحق منه فقط وردوا الباطل ، كان حسنا ، ولكن إذا قبلوه كله فهذا هو الخطأ ، فالواجب على أهل النظر وأهل العقول السليمة أنهم لا يقبلون الأشياء على عواهنها ، بل يمحصونها ويختبرونها ، فيقبلون ما كان فيها من حق ، ويردون ما كان فيها من باطل .

فالكفار قد يذكرون الحق لا رغبة في الحق ، ولا محبة له ، وإنما يذكرونه من أجل ترويج الباطل به ، والواجب التنبه لهذا الأمر ، وهو تمييز الأشياء ، وعدم التسرع في قبولها لما يظهر فيها من بريق الحق ، حتى تختبر وتمحص ، ويؤخذ ما فيها من حق ، ويرد ما فيها من باطل ، وهذا إنما يعلمه أهل العلم وأهل البصيرة ، وأما العوام والجهال - وقاصرو النظر - فينخدعون في مثل هذه الأمور ، وتنطلي عليهم ، لكن الواجب عليهم أن يسألوا أهل العلم ، ويستشيروا أهل النظر قبل قبولها ؛ حتى يسلموا من التمويه .

المسألة الرابعة عشرة بعد المائة
كتمان الحق مع العلم به

(كتمان الحق مع العلم به) .

الشـرح

من مسائل الجاهلية من اليهود والنصارى والوثنيين ، وغيرهم من طوائف الكفر : كتمان الحق مع العلم به ، وهذا يظهر في أهل الكتاب من اليهود والنصارى أكثر ؛ فإنهم يعلمون الحق ، ولكنهم يكتمونه ، ولا يبينونه للناس ؛ من أجل مصالحهم الدنيوية ، أو من أجل إرضاء الناس ، وأعظم الكتمان أنهم علموا أوصاف محمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، وعلموا صحة رسالته وما جاء به ، ومع هذا كتموا ذلك ، وأنكروا رسالة محمد ﷺ كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم في مواضع من القرآن ، ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [1] ، وهذه الآية في سياق تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ، يعلمون أن رسول الله ﷺ ستكون قبلته الكعبة المشرفة ، قبلة إبراهيم عليه السلام ، يعلمون هذا في كتبهم ، ومع هذا أنكروا تحويل القبلة ، وكتموا ما عندهم من العلم في ذلك .

وكذلك كل من كتم حقا وهو يعلمه من غير اليهود والنصارى ، حتى من المسلمين ، من كتم الحق ولم يبينه للناس ، فإنه على طريقة اليهود والنصارى ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ

---

(١) سورة البقرة الآيتان : ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٧ .

....

ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [1] .

شرط في **قبول توبتهم :** البيان لما كتموه ، فلا تكفي التوبة الملة ، ولكن لا بد من البيان ، فيجب على من علم الحق أن يبينه للناس ، ولا يشتري به ثمنا قليلا ، فيكتمه من أجل أن يحصل على مصلحة من مصالح الدنيا ، أو من أجل أن يرضي الناس ، فالله أحق أن يخشاه ﷻ وأن يرضيه ، فلا يجوز كتمان الحق لمن قدر على بيانه وإظهاره ، أما من لم يقدر ، أو يخاف بالبيان فتنة أكبر ، فإنه معذور ، لكن من لم يكن عنده مانع من البيان ، وإنما كتم الحق من أجل رغبته هو ومصلحته هو ، فهذا يلعنه الله ويلعنه اللاعنون .

فهذه صفة اليهود ، وهي منطبقة على كل من كتم الحق ، من أجل اتباع الهوى ، ولم يبينه للناس ، وإذا سئل عن حكم مسألة أجاب بغير الحق وهو يعرف الجواب الصحيح ، فهذا من كتمان الحق ، والله جلا وعلا أمر بقول الحق ولو على النفس : ﴿ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ ﴾ [2] ، فيجب بيان الحق في الشهادات وفي غيرها .

وأشد من كتمان الشهادة : كتمان العلم ، الذي هو حياة الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم ، فالواجب بيان الحق ، وعدم المداهنة ، ومن ذلك : إذا رأى الناس على باطل أو خرافات أو شرك ، فإنه لا يسكت ، بل يجب عليه أن يبين ، ولا يترك الناس يقعون في عبادة القبور ، وعبادة الأضرحة ، ومزاولة البدع المضلة ، ويسكت ويقول : ليس لي شأن بالناس ، أو يرى الناس يتعاملون بالمعاملات المحرمة ويسكت ، فهذا كتمان للعلم وخيانة للنصيحة ، فالله لم يعطك هذا العلم من أجل أن تسكت عليه ، وإنما حملك

---

(١) سورة البقرة الآيتان : ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) سورة النساء آية : ١٣٥ .

....

إياه من أجل أن تبينه للناس ، وأن تدعو إلى الله على بصيرة ، وأن تحاول إخراج الناس من الظلمات إلى النور .

فلا يسوغ للعلماء أن يسكتوا ، وهم يقدرون على البيان ، لا سيما إذا رأوا الناس في ضلال وشرك وبدع وخرافات ، فلا يسعهم السكوت ، فإن سكتوا فإن هذا من كتمان العلم الذي عاب الله به اليهود والنصارى ، فكيف إذا قال بخلاف الحق وهو يعلمه ، وأفتى بخلافه متعمدا ، من أجل إرضاء الناس ، أو من أجل تمشية الأمور ، أو من أجل أن يساير الناس على ما هم عليه ؟ ! ، فالحق أحق أن يتبع ، فأنت ترضي الله ﷿ ولا ترضي الناس وهم على باطل ، وفي الحديث : « من التمس رضا الله بسخط الناس ، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس . ومن التمس رضا الناس بسخط الله ، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » [1] [2] .

---

(١) الترمذي الزهد (٢٤١٤) .

(٢) أخرجه الترمذي (٤/٦٠٩-٦١٠ رقم ٢٤١٩) .

المسألة الخامسة عشرة بعد المائة
القول على الله بغير علم

(قاعدة الضلال ، وهي : القول على الله بغير علم) .

الشـرح

قاعدة الضلال ، أي : أصل ضلال العالم ومنشؤه ، القول على الله بغير علم .

والقول على الله بلا علم أعظم من الشرك ؛ ولذلك قال الله جل وعلا : ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [1] فجعل القول على الله فوق الشرك بالله ﷻ فلا يجوز لأحد أن يقول على الله بغير علم ، كأن يقول : إن الله حرم كذا ، أو : إن الله أباح كذا ، أو : إن الله شرع كذا ، وهو غير مشروع ، هذا قول على الله بغير علم ، والعياذ بالله . أو يفتي وهو لا يعلم ، بل يتخرص ، وهذا خطير جدا ، وهذا كذب على الله ﷻ ﴿ ۞ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [2] ، فلا يجوز القول على الله بلا علم .

والرسول ﷺ إذا سئل عن شيء لم يـ ل عليه فيه وحي يؤجل الإجابة حتى يـ ل عليه الوحي من الله ﷻ فكيف بغيره ؟ والعالم يخفى عليه أشياء كثيرة ، فإذا لم يكن عندك وضوح في المسألة ودليل من الكتاب والسنة ، فقل : لا أدري ، ولا ينقص هذا من علمك وقدرك ، بل يزيد هذا من قدرك عند الله سبحانه ، فقد سئل الإمام مالك رحمه الله عن أربعين مسألة ، فأجاب عن بعضها ، وقال عن أكثرها : لا أدري ، قال له السائل : أنا جئتك من بلاد بعيدة ، وتحملت سفرا ، وتقول : لا أدري ، فقال له الإمام مالك : اركب

(١) سورة الأعراف آية : ٣٣ .
(٢) سورة الزمر آية : ٣٢ .

....

راحلتك ، واذهب إلى البلد الذي جئت منه ، وقل للناس : سألت مالكا ، وقال : لا أدري . وهكذا أهل العلم وأهل الخشية من الله عز وجل .

وحتى في التأليف : فالإنسان لا يؤلف وهو ليس عنده أهلية للتأليف ، فليتنا سلمنا من كثير من المؤلفات والرسائل ، ولم تبق لنا إلا الكتب الصحيحة الموافقة للكتاب والسنة ، والمشكل أن هذه الكتب والرسائل ستبقى وتضلل أجيالا بعدك ، وتكون أنت المسئول عنها ، الإنسان يتقي الله في فتواه ، وفي كتابه ، وفي كلامه ، وفي حديثه ، وفي محاضرته ، فلا يقول إلا ما يغلب على ظنه أنه صواب ، وأنه موافق الكتاب والسنة .

المسألة السادسة عشرة بعد المائة : تناقض أقوالهم وتضاربها

(التناقض الواضح ، لما كذبوا بالحق ، كما قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾ [(١)] **) .**

الشـرح

التناقض هو : تضارب الأقوال واختلافها ، فمن ترك الحق فإنه يبتلى بالتناقض وتضارب أقواله ؛ لأن الضلال يتشعب ، ولا حد لشعبه . وأما الحق : فإنه شيء واحد لا يتشعب ولا يختلف ، والله جل وعلا يقول : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ [(٢)] ، فمن ترك الحق وقع في الضلال ، والضلال متاهة والعياذ بالله ، فتجد أصحابه مختلفين فيما بينهم ؛ بل تجد الواحد منهم مختلفة آراؤه ؛ لأنه ليس عنده هدى يسير عليه ، وإنما يتخبط ، تارة يقول كذا ، وتارة يقول كذا .

قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾ [(٣)] يعني : مختلف ، فأهل الباطل يختلفون فيما بينهم ، ويتعادون ويضلل بعضهم بعضا ، أو يكفر بعضهم بعضا ، أما أهل الحق المتمسكون بالحق فإنهم لا يختلفون ، وإن اختلفوا عن اجتهاد فإنهم لا يتعادون ولا يتقاطعون ، وإذا تبين لهم الصواب رجعوا إليه ، وتركوا أقوالهم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [(٤)] ، ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [(٥)] ، وتجدون الخلاف بين الأئمة الأربعة وبين الفقهاء ، ولا أحد منهم ضلل الآخر أو كفر الآخر ، كل يعمل بحسب ما يظهر له من الدليل ، وإذا ظهر أنه مخالف رجع إلى الحق . أما أهل الضلال فليس لهم مرجع يرجعون إليه ، وإنما مرجع كل منهم إلى هواه ، والأهواء تختلف .

---

(١) سورة ق آية : ٥ .
(٢) سورة يونس آية : ٣٢ .
(٣) سورة ق آية : ٥ .
(٤) سورة الشورى آية : ١٠ .
(٥) سورة النساء آية : ٥٩ .

المسألة السابعة عشرة بعد المائة

الإيمان ببعض ما أنزل دون بعض

(الإيمان ببعض المنزل دون بعض) .

الشـرح

الإيمان ببعض المنزل من عند الله ﷻ دون بعض سمة اليهود والنصارى ، قال الله سبحانه وتعالى لما حرم الله عليهم أن يقتل بعضهم بعضا أو أن يخرجوهم من ديارهم ، وأن يفادوا أسراهم ، فعملوا بواحدة من هذه الخصال الثلاث وتركوا البقية : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ ﴾ [1] تؤمنون ببعض الكتاب : وهو فداء الأسير ، وتكفرون ببعضه ، وهو القتل والإخراج من الديار فتستحلونه ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [2] هذا جزاء من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر بالبعض الآخر ؛ لأن الواجب الإيمان بالكتاب كله ، ولا يأخذ الإنسان ما يوافق هواه ويترك ما يخالف هواه ورغبته ، هذه صفة اليهود ومن حذا حذوهم من كل من يأخذ من الكتاب ما يوافق هواه ، ويترك ما يخالف هواه .

---

(١) سورة البقرة الآيات : ٨٣ - ٨٥ .

(٢) سورة البقرة الآيتان : ٨٥ - ٨٦ .

....

وفي الآية الأخرى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [1] أي : إذا جاءهم الرسول بما يوافق أهواءهم قبلوه ، وإذا جاءهم بما يخالف أهواءهم رفضوه ، ثم يكون موقفهم مع هذا الرسول الذي جاءهم بما لا يهوونه : إما أن يكذبوه ، وإما أن يقتلوه ، والعياذ بالله .

وفي هذا عظة للمسلمين أن لا يفعلوا مثل فعلهم ، فيصيبهم مثل ما أصابهم .

(١) سورة البقرة آية : ٨٧ .

المسألة الثامنة عشرة بعد المائة

الإيمان ببعض الرسل دون بعض

(التفريق بين الرسل) .

الشـرح

التفريق بين الرسل بالإيمان ببعضهم والكفر بالبعض الآخر من صفة أهل الكتاب خاصة ، أما الوثنيون والمشركون فلا يؤمنون بالرسل أصلا ، بل يكفرون بالرسل جميعا ، أما اليهود فإنهم كفروا بعيسى عليه السلام ، وكفروا بمحمد ﷺ والنصارى كفروا بمحمد ﷺ ومن كفر بنبي واحد فهو كافر بالجميع ؛ لأن الرسل طريقتهم واحدة ودينهم واحد ، وهم إخوة ، فمن كفر بواحد منهم ، فقد كفر بالجميع ، فالحجة التي مع الرسول الذي كفر به هي الحجة التي مع الرسل الذين آمن بهم ؛ فلا يفرق بينهم ، ولهذا يقول جل وعلا : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ [1] ، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ [2] .

لا نفرق بين أحد من رسله ، فالإيمان بالرسل هو أحد أركان الإيمان الستة ، التي جاءت في حديث جبريل ، لما سأل رسول الله ﷺ فقال : أخبرني عن الإيمان ، قال : ﴿ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [3] [4] ولا يكفي الإيمان ببعضهم ؛ بل لا بد من الإيمان بهم جميعا ، وإلا فمن كفر بواحد منهم فهو كافر بالجميع ؛

---

(١) سورة البقرة آية : ١٣٦ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(٣) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٢٧/١) .

(٤) أخرجه البخاري (رقم ٥٠) ومسلم (رقم ١٠) .

....

ولهذا يقول جل وعلا : ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [1] ، ﴿ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [2] ، ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [3] مع أنم ما كذبوا إلا نبيهم ، فلما كذبوا نبيهم كانوا مكذبين لجميع الرسل .

(١) سورة الشعراء آية : ١٠٥ .
(٢) سورة الشعراء آية : ١٢٣ .
(٣) سورة الشعراء آية : ١٤١ .

المسألة التاسعة عشرة بعد المائة
المحاجة فيما ليس لهم به علم

(مخاصمتهم فيما ليس لهم به علم) .

الشـرح

أي : أن أهل الجاهلية يجادلون ويخاصمون فيما ليس لهم به علم . والواجب أن الإنسان لا يجادل إلا بعلم ، أما ما لا يعلمه فإنه يسكت عنه ، قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [1] يعني : وحقيقته التي يؤول إليها . وهذا يتضمن ناحيتين :

الناحية الأولى : أن الإنسان لا يدخل فيما لا يعلم ، ولا ينكر ما لا يعلم ، بل يقول : الله أعلم ؛ ولهذا يقول الله لنبيه محمد ﷺ ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [2] ، فالإنسان لا يدعي أنه أحاط بالعلم ، بل يتقاصر ، ويعرف قدر نفسه ، ولو كان عنده علم كثير ، فما خفي عليه أكثر ، والله جل وعلا يقول : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [3] حتى ينتهي العلم إلى الله سبحانه وتعالى .

الناحية الثانية : أنه لا ينكر الشيء الذي يعلمه غيره ، فإذا كان عند غيرك علم خفي عليك ، فلا تنكر ما عند غيرك ، فما أحد من البشر أعطي العلم كله ، ولهذا يقول العلماء : هذه العبارة التي يكررونا دائما : " من حفظ حجة على من لم يحفظ " .

والدهريون والمشركون ومعطلة الصفات وسائر أهل الضلال ، أنكروا ما أنكروه ؛ لجهلهم به ، وكونه لا تدركه عقولهم ؛ لأنم لا يؤمنون بالغيب ، وبنوا مذاهبهم على القياس الفاسد ، فضلوا عن سواء السبيل .

---

(١) سورة يونس آية : ٣٩ .
(٢) سورة طه آية : ١١٤ .
(٣) سورة يوسف آية : ٧٦ .

المسألة العشرون بعد المائة

تناقضهم في اتباعهم لغيرهم

(دعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم) .

الشـرح

عامة اليهود والنصارى ، وأهل الضلال من المنتسبين إلى الإسلام ، كلهم يدعون أنهم يتبعون من سبقهم من المؤمنين قبلهم ، فاليهود يدعون أنهم من أتباع موسى عليه السلام ومن آمن به ، والنصارى يدعون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام ومن آمن به ، وأهل الضلال من هذه الأمة يدعون أنه يتبعون سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم ، وأن ما هم عليه هو مذهب السلف .

وما كل من ادعى أنه على مذهب السلف أو على منهج السلف تكون دعواه صحيحة ؛ حتى يعرض ما عنده على منهج السلف الصالح ، فإن طابق فهو على منهج السلف ، وإن خالف فإنه ليس على منهج السلف ، وإن ادعى هذا . كل الطوائف الضالة الآن تدعي أنها على مذهب السلف ، ولكنهم ليسوا على منهج السلف ؛ لأنهم لا ينطبق عليهم قول الرسول ﷺ - في ضابط مذهب السلف - : ﴿ من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي ﴾ [(١)] [(٢)] هذا الذي يكون على منهج السلف . أما من خالف هذا فإنه ليس على منهج السلف ، وإن ادعى ذلك ، والعبرة ليست بالدعوى ، وإنما العبرة بالحقيقة ، فالذين يدعون السلفية كثيرون ، لكن لا بد من عرض ما هم عليه على منهج السلف الصالح ، فإن طابق فهذا حق ، وإن خالف فإنهم ليسوا على منهج السلف الصالح .

وكذلك الذين ينتسبون إلى المذاهب الأربعة وهم يخالفون الأئمة في الاعتقاد ، فانتسابهم غير صحيح ؛ لأنهم خالفوهم في أهم الأشياء وهو العقيدة .

---

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٧/٥ رقم ٤٥٩٦ ، ٤٥٩٧) ، والترمذي (٢٥/٥-٢٦ رقم ٢٦٤٥ ، ٢٦٤٦) ، وابن ماجه (٣٥٢/٤-٣٥٣ رقم ٣٩٩١ ، ٣٩٩٢ ، ٣٩٩٣) .

المسألة الحادية والعشرون بعد المائة : الصد عن سبيل الله

(صدهم عن سبيل الله من آمن به) .

الشـرح

الصد عن سبيل الله هو : صرف الناس عن الدخول في دين الله ، وهذا عمل الكفار قديما وحديثا ، من يهود ونصارى ومشركين ، فمن مناهج الجاهلية في كل زمان ومكان : الصد عن سبيل الله ، والفرق الضالة الآن على هذا النهج ، تحاول تضليل المسلمين ، وجلبهم إلى نحلهم الباطلة ، وكذلك اليهود والنصارى ، لا يزالون يحاولون في المسلمين صدهم عن الإسلام ، ويقولون : تعالوا نتحاور فيما بيننا ، ويقولون بحرية الأديان . هذا من الصد عن سبيل الله ﷻ هل نحن على شك من صحة ديننا وبطلان دينكم حتى نتحاور معكم ؟ ! لسنا على شك من ديننا ، وبطلان ما أنتم عليه .

فهؤلاء يريدون من هذه الدعايات الحوار بين الأديان ، والتعاون بين الأديان ، يريدون به الصد عن سبيل الله ، هذا مرادهم ، وهذا مقصدهم ، ولا يزال الكفار إلى الآن يحاولون إضلال المسلمين ، ويقتلونهم ، ويشردونهم ، ويعذبونهم ، من أجل دينهم وصدهم عنه .

وهم الذين يقولون : نتحاور فيما بيننا ، ويقولون بحرية الأديان والمعتقدات ، لكنهم يقصدون أديانهم ومعتقداتهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢ ﴾ [(١)] ، ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾ [(٢)] ، ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾ [(٣)] ، لكنهم يريدون لبس الحق بالباطل ، ومساواة الدين الباطل بالدين الحق ، ثم لا يثبتون على هذا ، بل يريدون إزالة الإسلام ، فهم يقتلون المسلمين ويشردونهم من أجل أن يصرفوهم عن دينهم ، ويريدون أن لا يبقى على وجه الأرض مسلم ، هذه أمنيتهم ، وهذا قصدهم .

(١) سورة الممتحنة آية : ٢ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢١٧ .
(٣) سورة النساء آية : ٨٩ .

المسألة الثانية والعشرون بعد المائة
موالاة الكفار

(مودتهم الكفر والكافرين) .

الشـرح

من مسائل الجاهلية : أنهم يودون الكفر والكافرين ، كما ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك عن بني إسرائيل ، أنهم اتخذوا الكفار أولياء ، قال تعالى : ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [1] .

وقد حرم الله موالاة الكفار ، فقال تعالى : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾ [2] نهى الله المسلمين أن يفعلوا مثل ما فعل اليهود من موالاة الكفار ومحبة الكفار ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ ﴾ [3] ، الأمر واضح في هذا ، وأنه تجب معاداة الكفار والبراءة منهم ومن دينهم ، والولاء والبراء من أعظم الواجبات في الإسلام .

---

(١) سورة المائدة آية : ٨٠ .
(٢) سورة المائدة آية : ٥١ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٢٨ .

المسائل من الثالثة والعشرين إلى الثامنة والعشرين بعد المائة
اعتمادهم على الخرافات

(العيافة ، والطرق ، والطيرة ، والكهانة ، والتحاكم إلى الطاغوت ، وكراهة التزويج بين العيدين) .

الشـرح

من خصال الجاهلية هذه الأمور الباطلة ومزاولتها والعمل بها وهي :

١- العيافة والطيرة وهما : زجر الطير ، وكذلك الطيرة ؛ لأنهم في الجاهلية كانوا يتشاءمون بالطيور ؛ فإذا رأوها تطير على شكل يكرهونه تراجعوا عما عزموا عليه من أسفارهم وغيرها .

والله جل وعلا أمرنا بالتوكل عليه وحده ، والمضي فيما فيه مصلحة للإنسان ، وإذا أشكل عليه شيء من أموره ، أو تردد في شيء ، فإنه يصلي صلاة الاستخارة ، ويدعو بعدها أن يهديه الله للصواب . وكذلك يستشير أهل الخبرة والمعرفة .

٢- والطرق : الخط ، يخط بالأرض ، وهذا إنما يكون عند المشعوذين الذين يخطون في الرمل ، ويقولون : سيحصل كذا ، سيحدث كذا . وهذا من فعل الجاهلية ؛ لأنه من ادعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، وهو خرص وتخمين ، ولكن قد يقع ما قالوا ؛ من باب الفتنة والاستدراج للناس ، فالواجب تجنب هؤلاء والابتعاد عنهم .

٣- والكهانة : وهي دعاء علم الغيب بواسطة استخدام الشياطين الذين يسترقون السمع وقد حرم الله الكهانة وحرم الذهاب إلى الكهان وتصديقهم فقال النبي ﷺ : ﴿ من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ﴾ [(١)] [(٢)] .

---

(١) الترمذي الطهارة (١٣٥) ، أبو داود الطب (٣٩٠٤) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٣٩) ، أحمد (٤٧٦/٢) ، الدارمي الطهارة (١١٣٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٤٢٩/٢) والحاكم ٨/١ وقال : هذا حديث صحيح على شرطهما جميعا .

....

٤- والتحاكم إلى **الطاغوت هو :** التحاكم إلى غير كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من القوانين الوضعية ، وحكم العوائد ، عوائد البادية وسوالفها ، أو علم الكلام والقواعد المنطقية .

وكانوا في الجاهلية يتحاكمون إلى الطاغوت ، وهو مشتق من الطغيان ، وهو مجاوزة الحد ، والمراد به هنا : من حكم بغير ما أنزل الله .

والواجب على المسلمين التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، قال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِ‌ۚ ﴾ [(١)] .

٥- وكراهة التزويج بين **العيدين :** عيد الفطر وعيد الأضحى ، هو من التشاؤم بالأيام المنهي عنه ، وهو نوع من الطيرة . وقد شرع الله التزويج في جميع الأوقات ، ما عدا حالة الإحرام بحج أو عمرة ، ولا دخل للأيام في نجاح التزويج أو فشله ، وإنما هذا بيد الله سبحانه وتعالى . والله تعالى أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس